

مذكرات ضابط عربي في جيش الخلافة العثمانية

إعداد
ثقافة عسكرية

مذكرات ضابط عربي في جيش الخلافة العثمانية

الحلقات من إعداد أحد الإخوة الشوام من أحفاد صاحب المذكرات ولم تنشر من قبل



حرب البلقان الأولى ... حصاد مُر لزرع فاسد

" وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ".

في بداية الحرب في 1912 كنت ضابطا برتبة ملازم أول ضمن الآلاي (فوج)66 مشاة ضمن الفرقة 22 مشاة النظامية في الفيلق الثامن تحت قيادة الفريق حسن تحسين باشا (ضمن جيش مقدونيا المكلف بالجبهة اليونانية وهو جزء من الجيش الغربي المكلف بالجبهتين اليونانية والصربية بينما كلف الجيش الشرقي بالجبهة البلغارية), كانت فيلقنا يتوزع على ولايتي سلانيك (تسالونيكي) ومناستر، ويحتوي الفيلق فرقتي رديف إضافة إلى فرقتنا النظامية التي كانت تتواجد قبل الحرب في مدينة كوزاني، وكانت فرقتنا قبل الحرب توجد في مدينة كوزاني لتشكل درعا لسلانيك من جهتها الغربية، بينما تواجد فيلق آخر في مواجهة اليونانيين في إبير (إيبيروس) في ولاية يانيا، وكان مؤلفا من فرقة نظامية وفرقة رديف وقيادة منطقة محصنة.

ولم يكن يتواجد في خط فيلقنا الأمامي وقتها إلا 9 طوابير نظامية و5 طوابير رديف، وست بطاريات مدفعية، و3 بلوكات رشاشات، يضاف إليها 11 طابور (كتيبة)من الرديف في الخلف، ولكن كانت قوة الفيلق بثلث قوتها الأصلية عند عبور الجش اليوناني بعد تسريح جزء كبير منهم في آب قبل الحرب.

بعد إعلان دول البلقان الحرب، عبر جيش اليونان الحدود في 5 تشرين أول، وقد

كان بقوة كبيرة أستطيع تقديرها بما بين 6 إلى 8 فرق مع آلاي (فوج)فرسان، جاءتنا الأوامر بمحاولة تأخير اليونانيين بالكمائن، بمفارز صغيرة، فقامت الكتيبة التي أنتمي لها ومعها اثنين من الرشاشات، بنصب كمين في الليل لإحدى طلائع الجيش اليوناني في الاصونا جنوب غرب جبل أولمب، استطعنا قتل بعضهم وإصابة آخرين ووقع بيدنا 4 أسرى بينهم أسير وقع في يد فصيلي أمرت بخفره وإرساله لقائد الكتيبة.

لكن عسكر اليونانيين استمر في التدفق، وكانت مواجهتهم غير مجدية، فكانت الأوامر بالانسحاب إلى سرندبارون (منطقة Sarantaporo وهي تقع حول مدينة تحمل نفس الإسم)، حيث أن المنطقة هناك مجهزة للدفاع منذ ما قبل الحرب، ووصلنا سرندبارون في 7 تشرين أول وكان الجيش اليوناني في إثرنا.

قضينا اليوم التالي في استعداد للدفاع وكذلك كان عسكر اليونان يرتاحون ويتجهزون للمعركة، وضعنا الآلاي (فوج)64 والآلاي (فوج)65 مع آلاي (فوج)المدفعية 22 الخاص بالفرقة في الأمام على خط الخنادق الرئيسي مدعومة بآلاي (فوج)من الرديف، بينما وضعنا آلاي (فوج)من الرديف على الجناح الأيسر المستند إلى جبل بريا، أما الجناح الأيمن المكشوف فقد وضعنا آلاي (فوج)رديف آخر، إضافة للآلاي (فوج)66 الذي كنت منه، وكان على الآلاي (فوج)66 منع أي التفاف يوناني من الغرب أو مهاجمة اليونانيين من الجانب بناء على أمر قائد الفيلق حسن تحسين باشا، فانتشر الآلاي (فوج)على جانبي نهر يسير إلى قبالة كوزاني (نهر Aliakmon)، فانتشر جنودنا ببنادقهم أمام النهر ضمن أخاديد وحفر طبيعية تتواجد على ضفته الأمامية مستورة بشجيرات قصيرة تحيطها الأعشاب وكانت التربة

الطينية شتاء تساعدنا في عمل حفر للاختتباء، بينما تواجدت بطارية مدفعية الآلاي (فوج) وبلوك (سرية) رشاشاته على الضفة الخلفية للنهر لتقدم لنا المساندة بالنيران.

هاجم عسكر اليونان يوم 9 تشرين أول بقوة ثلاث إلى 4 فرق مقابل الدفاعات الرئيسية مع مفرزة أخرى تقدر بقوة آلاي (فوج)لتثبيت الجناح الأيسر، بينما هاجمت فرقتان وآلاي (فوج)فرسان على الجناح الأيمن، واستطاعت قواتنا عند الدفاعات الرئيسية صد اليونانيين، وقد أبدع البكباشي (مقدم) كامل بيك آمر آلاي (فوج)المدفعية في دك أرتالهم أثناء حركتها نحو الخنادق حيث كان يصليها بنيران مدافعه الكروب نمط 1905 ذات القطر 3 بوصات، فيما كانت الرشاشات تصد من يقترب منهم، ورغم أنهم كانوا قد استطاعوا الوصول لمسافة قريبة من الخنادق مع حلول الظلام لكن لم تنجح محاولاتهم في اجتيازها وخرق الصف.

كما قاوم الآلاي (فوج)66 بشدة زحف الفرقة اليونانية التي يشد آزرها آلاي (فوج)من الفرسان، فأطلقنا النار على الجنود الذين يحاولون الاقتراب فيما تولت بطارية المدفعية ضرب آلاي (فوج)الفرسان، أما بلوك (سرية)الرشاشات فقد كان ينقل نيرانه على اتجاهات الضغط حسب ما يستجد في المعركة، وقد تسللت قوة من اليونانيين إلى الضفة الخلفية للنهر محاولة ضرب بطارية المدفعية وبلوك (سرية) الرشاشات، ولكن بلوك الرشاشات قام بالرمي عليهم لتأخيرهم ريثما عبر بلوك مشاة منا إلى الضفة الخلفية لحماية المدافع والرشاشات، فعاد بلوك الرشاشات حينها لمؤازرتنا بالنار.

أما آلاي (فوج)الرديف الموجود بيننا وبين خط الدفاع الرئيسي فقد كان وضعه سيئا، كان في منطقة مكشوفة ذات أرض لا تساعد على الدفاع، كما كان تسليحه منخفضا وجنوده قليلي التدريب، فلم يحتمل ضغط فرقة المشاة وبدأ بالتراجع.

أذكر هنا أن الفرق النظامية في ذلك الوقت كان كامل جنودها مسلحين بالبنادق أما الفرق الرديفة فكان ما بين ربع إلى ثلث جنودها فق مسلحين بالبنادق بينما كان الباقي مسلحين بالسيوف، ولم يكن عدد البنادق وقتها يكفي لتسليح كل جنود القوات الرديفة ولذلك كانت القيادة العسكرية تقوم بتوزيع البنادق على من يحقق 3 إصابات من أصل 3 في إختبار الرماية الخاص بالجنود الردفاء، ومن يصيب عددا أقل كان يسلح بسيف عند الاستدعاء للخدمة وفي حال توفر بنادق أخرى كان يتم تسليح قسم من الجنود الذين يحققون إصابتين، وسيتغير الأمر في فترة الحرب الكونية لاحقا، حيث سيتم تعبئة جنود الرديف في فرق ذات أرقام، وتكون الدولة العلية قادرة على تسليح كامل الجنود بالسلاح الناري.

أدى اندفاع تلك الفرقة اليونانية إلى اقترابها من كوزاني حيث قيادة الفيلق ومقر الفرقة 22 الأصلي، ولذلك صدرت الأوامر ليلا لجميع الآلايات بالانسحاب.

تراجعنا نحو كوزاني في بعد صلاة العشاء بساعة أو ساعتين يسترنا ظلام الليل الدامس، إضافة للأمطار الشديدة التي جعلت الرؤية صعبة علينا وعليهم، وتقدم عسكر اليونان خلفنا صباح اليوم التالي، أدركونا قبالة كوزاني وقد فت في عضدنا مسير ليلة كاملة تحت الأمطار دون نوم ولا راحة، سبقه قتال مرهق في نهار كامل، لكن في مثل تلك اللحظات تلعب غريزة البقاء دورها، فالخوف من القتل أو الأسر ينسيك أي شعور بالتعب أو بالنعاس أو البرد.

أمام كوزاني خضنا معركة أخرى لأجل الانسحاب، وقد تبادلت طوابير الآلاي (فوج)66 تغطية بعضها بالنيران، فكان جنود طابور (كتيبة)جثون على ركبة واحدة منخفضين ويطلقون النار على عسكر اليونان، بينما يتراجع الطابوران الآخران خلفهما، ثم يجثي جنود أحد الطابورين ويطلقون النار لتغطية تراجع الطابور (كتيبة)الذي كان يغطي تراجعهم قبلا، وقد أبلى بلوك (سرية)الرشاشات بلاءً حسنا وهو يتراجع خطوات ثم ينبطح جنوده ويفتحون النار ثم يتراجعون لمسافة أخرى قبل أن يعودوا لإطلاق النار وقد استشهد آمر البلوك (سرية)اليوزباشي (نقيب) سليمان وهو تركي من أرضروم أثناء المعركة، وقد أبدى شجاعة وتفانيا كبيرا رحمه الله، بالنسبة للمدافع فلم نستطيع في ذلك النهار سحبها معنا، فقد صدرت لنا الأوامر بالتخلص من كل الأثقال، فتركنا أكثرها بعد تدمير ما استطعنا تدميره منها.

وعبرنا النهر الذي قبالة كوزاني وقام طابورين أو ثلاثة من الفيلق بتدمير ما يستطيع من مستودعات فيها وإحراق أوراق الجيش، ثم أكملنا التراجع نحو الشمال الشرقي ووجهتنا سلانيك، وتوقف عسكر اليونان عند كوزاني وقد أضنتهم مطاردتنا.

كانت خسارة سرندبارون كارثة، لأنها الموقع المحصن الوحيد الذي كانت فيه قواتنا تستطيع فيه مواجهة قوات اليونان التي تفوقنا بالعدد.



أكملنا التراجع يوم 11 تشرين أول حتى حلول الظلام مبتعدين عن عسكر اليونان، توقفنا ليلا للراحة بعد أكثر من يومين من الحركة بلا نوم، ونمنا بالتناوب بحيث ينام نصفنا ويستيقظ النصف الآخر حتى ضحى اليوم التالي، ثم أكملنا تراجعنا حتى وصلنا يوم 16 تشرين أول إلى مدينة ينجي فاردار (مدينة Giannitsa)، والتي تقع في مقدونيا قرب أطلال مدينة قديمة كانت مسقط رأس الاسكندر بطل اليونان وعاصمة ملكه، تبعد ينجي فاردار حوالي 30 ميلا غرب سلانيك، كانت المدينة تقع شمال بحيرة (بحيرة Giannitsa والتي تم تجفيفها في ثلاثينات القرن العشرين)، وقد كانت تنتظرنا هناك كتائب رديف إضافية كتعزيزات إضافة لمدافع مخزنة في مستودعات سلانيك بدل المدافع التي فقدناها في سرندبارون، ولكن أكثر تلك المدافع كانت مدافع كانت مدافع عفى عليها الزمان، كانت مدافع كروب سنة 1873 ذات القطر 3 بوصات أو ذات القطر 3 بوصات ونصف، وكانت أساسا لتزويد وحدات الرديف إن استلزم الأمر (امتلكت القوات العثمانية في المعركة 30 مدفع أغلبها قديم).

كان موقع ينجي فاردار الفرصة الأخيرة لحماية سلانيك، فقد كانت البحيرة تحمي جناحنا الأيسر، كما كان هناك نهر غير عميق يقع خلفنا ووراءه يقع نهر فاردار (نهر Axios)، أما الأرض جنوب البحيرة حتى البحر (بحر إيجه) فقد كان هناك 3 أنهار (أولها نهر Aliakmon الذي يصب في بحر إيجه وآخرها نهر Axios الذي يصب في نفس البحر) يجب عبورها للوصول إلى سلانيك، وقد رابطت هناك بعض طوابير (كتائب) الرديف، قمنا بحفر حفر كبيرة مربعة الشكل، ووضعنا التراب أمامها لتشكل سواتر، ورابط بلوك (سرية) في كل حفرة، وكان كل بلوك يستطيع معاونة البلوك بجانبه، بينما رابطت المدافع في حفر خلفنا على شكل نصف دائرة.وصل عسكر اليونان والذي كان قد وصلته مؤازرة جديدة، وكان يشكل 3 أو أربع أضعافنا

في العدد ومعه فوق المئة مدفع (كان مع الجيش اليوناني في المعركة 120 مدفع) يوم 18 تشرين أول، وبدأ هجومه في اليوم التالي، حاولوا اختراق جبهتنا، وتلقفهم جنودنا بنيران الرشاشات والبنادق، وكانت المدافع تضرب وحداتهم التي تحاول الهجوم بين مربعاتنا الدفاعية، واستسلم بعض جنودهم بين حفرنا المربعة حين قتل زملاؤهم أو تراجعوا، أخذت منهم أسيرين وأبقيتهم معنا في الحفرة ثم أرسلتهم ليلا إلى ساقة (مؤخرة) قواتنا، توقف القتال ليلا، في صباح يوم 20 تشرين أول قاتلنا عسكر اليونان بتنظيمات جديدة، وقادهم ولي العهد الأمير قسطنطين، وركزوا هجوما على الجناح الأيمن بقوة تقدر بفرقة ومعها قوة الحرس الملكي الذين ميزناهم من قلانسهم الحمراء، ودعموها ما يقدر بثلث مدافعهم، وكان في مواجهتهم آلاي (فوج) من الرديف بجانب قوة من الآلاي 64 ، قاومت قوات جناحنا الأيمن بشراسة، لحقت بهم خسائر كبيرة، وكذلك لحقت بعسكر اليونان الذي ثبت في هجومه لا يلوي على شيء، فالحرس الملكي كان معهم وهو لا يتراجع إلى الوراء حتى لا يؤثر في حماس باقي الجند.

استطاع عسكر اليونان كسر الجناح الأيمن، وبدأ الجناح بالتراجع في حالة من الذعر ولم يكن لدينا قوة احتياط، فكامل قوتنا كانت تدافع في الأمام ولا نستطيع تحريكها حتى لا نضعف قطاعا من القطاعات، وكان عدم وجود قوة احتياط كافية من أخطاء حسن تحسين باشا، صدر لنا الأمر بالتراجع نحو سلانيك، قام طابور بإحراق مستودعات الجبخانة (الذخيرة)، ثم أكمل باقي عسكرنا التراجع، ولم يطاردنا عسكر اليونان، واكفتوا بدخول ينجي فاردار خلفنا وتوقفوا فيها لبعض الوقت قبل أن يتابعونا إلى سلانيك.

حوصرنا في سلانيك من قبل عسكر اليونان، ومع الوضع اليائس اتجه الفريق حسن تحسين باشا للتسليم، وبدأ بمفاوضة اليونانيين، حين علمنا بذلك آثرت مجموعات من الضباط التسلل إلى خارج سلانيك والذهاب لمناطق أخرى بعد استئذان حسن تحسين باشا،.ومن بين الضباط ضابطان أرناؤوطيان (ألبانيان) وهما الملازم أول محمد شيخو، وهومن شقودرة التي كانت على وشك الحصار من عسكر الصرب والجبل الأسود، واليوزباشي (نقيب)حسان جاويد وهو أرناؤوطي (ألباني)وتحمس للذهاب والقتال في بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)بعد يأس الوضع في سلانيك ونية تسليمها، وقد تحمست للذهاب معمها.

طلبا الإذن للدخول على الفريق حسن تحسين باشا، والذي كان أرناؤوطيا مثلهم، ودخلت معهم عليه يوم الجمعة 26 تشرين أول 1912، وحصلنا منه على الإذن وقال لنا رافقتكم السلامة، وقد كان هذا نفس اليوم الذي اتفق فيه حسن تحسين باشا مع اليونانيين على التسليم.

صلى بنا الفريق في هذا اليوم صلاة الجمعة الأخيرة، وفارقنا الجيش بعدها وتخفينا في ملابس فلاحين، وأخفينا الطبنجات والسيوف في رزم من الحطب.

وقد دخل عسكر اليونان إلى المدينة في اليوم التالي، وقد اعتبرت حكومة الدولة العلية حسن تحسين باشا خائنا، وحكمه ديوان الحرب بالإعدام، فلم يعد حسن تحسين باشا إلى الدولة بعد إطلاق سراحه من الأسر ولجأ لاحقا فيما عرفت إلى بلاد الفرنساوية، ثم إلى سويسرا حيث وافته المنية آخر سنوات الحرب الكونية.

لكني أشهد شهادة حق أمام الله وأمام أولادنا، الفريق حسن تحسين باشا لم يكن خائنا ولا جبانا، بقي أياما وأياما يناطح بنا عسكر اليونان الذي فاقنا عددا وعدة، لكنه يأس من الموقف بعد المعارك التي جرت، وعلم أن عسكر البلغار يتحرك صوبنا في سلانيك من الشمال الشرقي في ملاقاة عسكر اليونان،فرأى أن الصمود في سلانيك كان ضربا من الخيال، وقد وصل عسكر البلغار فعلا إلى سلانيك بعد يوم من الاستسلام.

كان رحمه الله متوسط الجسم، مليح العينين غائرهما، عظيم الشاربين كث اللحية أبيضها، متواضعا بشوش الوجه رقيق القلب مع شجاعة، متصدقا على المساكين محافظا على الصلاة والفرائض مع ما فيه من بعض اللهو اليسير عفا الله عنا وعنه، حنونا على الجند مهتما بقضاء حوائجهم، ضليعا بالألسنة يتحدث اللسان الأرناؤوطي (ألباني)والتركي والعربي واليوناني، قاد فرقة في حرب 1897 المظفرة ضد اليونان وأبلى بلاء حسنا، ولي اليمن لسنتين وكان من خير من وليها من ولاة الدولة العلية، صالح إمام الزيدية وتقرب إليه وأخمد الفتن، وكسب قلوب الرعية هناك وأخذهم باللين وجبر الخواطر وعمر العمائر.

أذكر هنا أن الجزء الأكبر من عسكر اليونان قد ركز على الفيلق الثامن في بداية الحرب، وكان يقاتلنا في المعارك السابقة على جبهة سلانيك، أما فيلق يانيا بقيادة الميرلوا(اللواء) أسعد باشا فقد كان عسكر اليونان أمامه ضعيفا وأقل عددا وعدة، واكتفى معه ببعض المناوشات، ولم يفعل أسعد باشا في تلك الأثناء شيئا على جبهته إلا الدفاع، ولم يقم بأي هجوم إلا بقوة صغيرة من 5 طوابير يوم 23 تشرين أول، ولكن بعد خراب البصرة، وكان هجومه مجرد هجوم مرتد لمواجهة هجوم محدود لعسكر اليونان، وقد ألغى هجومه في يومه الأول بسبب الأحوال الجوية السيئة، وترك بذلك الفرصة لعسكر اليونان أن يستديروا إليه بعد أن تمكنوا من جبهتنا، فأكل

يوم أكل الثور الأبيض واضطر هو الآخر للاستسلام بعد مقاومة قوية أشهد ببسالتها، ومع ذلك فقد اعتبر بعد الحرب بطلا واعتبر حسن تحسين باشا خائنا فإنا لله وإنا إليه لراجعون.

فإن سألت عن سبب هذه القسمة الضيزى فسببها أن حسن تحسين باشا كان لا يميل للاتحاديين (جماعة الاتحاد والترقي) ولا يرى الائتلافيين (جماعة الحرية والائتلاف) خيرا منهم في الحقيقة، لطالما اتهم منهم بأنه من الارتجاعيين (مؤيدي عودة السلطان عبد الحميد إلى الحكم)، أما أسعد باشا فقد كان أثيرا لدى الاتحاديين ولا يخفي هواه فيهم، وربما هذا من الأمور التي حالت دون قيام تعاون بينه وبين حسن تحسين باشا في الحرب.

أما علي رضا باشا والذي عين لقيادة الجيوش على الجبهة، وكان من المفترض أن ينسق العمل بين الفيلق الثامن وفيلق يانيا، فلم نسمع له حسا ولا خبر وكان وجوده كالعدم سواء، فقد عين لفترة قريبة خلت ولم يملك الوقت الكافي لممارسة عمله، عدا عن أنه محسوب على الائتلافيين ومكروه من الاتحاديين، ولك أن تتصور جبهة يكون قائدها محسوبا على الائتلافيين، وقائد أحد فيالقها محسوبا على الاتحاديين، وقائد الفيلق الآخر متهم بأنه من الارتجاعيين، وبين الاتحاديين والائتلافيين ما صنع الحدود، والجروح بينهم لا زالت طرية عام 1912 رومية، والحزبان يكرهان كل من يشتبه بارتجاعيته، فإنا لله وإنا إليه لراجعون.

إحدى الفرص الضائعة في قتال عسكر اليونان، كانت حين قامت قوة من الفيلق الثالث بعد رجوعها من جبهة الصرب، بهجوم على فرقة يونانية، كانت متأخرة عن القوات التي تزحف نحو سلانيك لتحرس مؤخرتها، فدحرت الفرقة في ساروفيج (مدينة Amyntaio في اليونان) في 21 تشرين أول، ثم تتبعت فلولها ودحرتها في اليوم التالي نحو كوزاني، ولكن القوة المهاجمة خشيت التوغل أكثر وخافت التطويق،

فتراجعت وهذا من آثار عدم المساعدة بين فيالق الجيش وفرقه، فقد كانت كل فيلق لا يعلم وضع الفيلق الآخر، ولو تم احتلال كوزاني لانقطع خط الإمداد عن عسكر اليونان الأكبر الزاحف إلى سلانيك، أذكر هنا أن عسكر اليونان حسب ما خبرته يهاجم باندفاع شديد واستماتة ولكنه لا يملك صلابة وعنادا في الدفاع، جنودهم يستأسدون طالما كانوا الطرف الذي يهاجم عدوه، ولكنهم يقاتلون بروح منكسرة حين يدافعون هجوم عدوهم.



شقودرة ... أشهر من التضحية والفداء أضاعتها الخيانة وخذلها انقسام الجيش في الجبهات الأخرى

في 28 تشرين الأول خرجنا متسللين من سلانيك، دون أن يرتاب عسكر اليونان في أمرنا، وقد توجهنا ثلاثتنا إلى شقودرة التي يعرف الملازم أول محمد واليوزباشي (نقيب)حسان الطريق إليها وكان الملازم أول محمد يعرف مسالكها جيدا.

كان لكل منا دوافعه من التوجه لشقودرة فمحمد وحسان أرناؤوطيان أرادا القتال في وطنهما، أما أنا فقد قررت مرافقتهما لأنني كنت أحلم ومنذ تطوعي في الكلية الحربية بأن أقاتل الصرب المتوحشين يوما، خاصة مع معرفتي لمذابحهم التي ارتكبوها بحق المسلمين إبان حربنا الأخيرة مع روسيا في أواخر سبعينات القرن الماضي وما سمعته عن وحشيتهم أيضا في الحرب الحالية خاصة مع أسرانا.

توجهنا باتجاه الشمال الغربي نحو شقودرة (مدينة في ألبانيا وهي مسقط رأس الإمام الألباني رحمه الله) عابرين الجبال الخضراء في مقدونيا ثم شمال بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)، ووصلنا قرب شقودرة في 2 كانون ثاني عام 1913 وكان الكفار قد أحكموا الحصار حول شقودرة قبل وصولنا، حيث بدأ حصار المدينة في 28 تشرين أول، وهو نفس يوم خروجنا من سلانيك، وقد قال لنا الملازم أول محمد: لا عليكم أنا أعرف الدروب جيدا حول مدينتي ولكنه قال لنا أن علينا السباحة لمدة ساعة، فقلنا له: أنت قائد الرحلة والأدرى بالطرق لمدينتك.

أخذنا في دروب جبلية إلى أحد شواطئ بحيرة شقودرة حيث وصلناها في الرابع من كانون الثاني وانتظرنا حتى الليل ثم قمنا بالسباحة باتجاه المدينة وما إن وصلنا باتجاه الشاطئ حتى صرخ بنا جنود جيش الخلافة طالبين منا التوقف فقلنا لهم أننا

من جيش الخلافة وجئنا هنا للقتال، فطلبوا منا أن نكمل باتجاه الشاطئ ونرفع أيدينا ففعلنا ذلك فقاموا بتفتيشنا وأخذ طبنجاتنا وسيوفنا ثم اقتادونا إلى قائدهم البكباشي (مقدم) محمود وشرحنا له القصة وما أتى بنا وأظهرنا له أوراقنا التي كانت مبتلة من السباحة، ولكن لا زال يمكن قراءة ما بها، فأمر بإيصالنا إلى الفريق حسن رضا باشا والذي كان قائدا للقوات الموجودة في شقودرة.

استقبلنا الفريق حسن رضا باشا خير استقبال في قلعة روزافا وفهم قصتنا وأمر بتوزيعنا على القوات المدافعة.

كانت القوات المدافعة في بلاد الأرناؤوط (ألبانيا) مؤلفة من فيلق غير مكتمل يقوده حسن رضا باشا ويترأس أركانه القائم مقام (عقيد) عبد الرحمن نافذ بيك ويحتوي على الفرقة 24 مشاة النظامية (والتي احتفظ حسن رضا باشا بالقيادة المباشرة لها) المؤلفة من آلايات المشاة 70 و 71 و72 ، وطابور (كتيبة)رماة البنادق 24 ، وآلاي (فوج)المدفعية 24، حيث يدعمها 24 مدفعا، وإضافة لتلك الفرقة النظامية فقد كان هناك فرقتان من الرديف إحداها فرقة البيسان(نسبة للقطاع الذي يتم منه التعبئة) ، كان قوام جنودهما وضباط صفهما وعديد من ضباطهما من السكان المحليين الذين يتم استدعاؤهم وقت الحرب، وكانت فرقة البيسان وكانت بقيادة الأميرالاي (عميد)جمال بيك ومؤلفة من 4 آلايات رديف كل منها يتألف من 4 طوابير، وكانت قوات من فرقة البيسان في قطاع خدمتي.

أذكر أن كل آلاي (فوج)مشاة من آلايات الفرق النظامية كان عادة يحتوي في تشكيله على بلوك (سرية)رشاشات مكون من 6 رشاشات، ويمكن تقسيم البلوك (سرية)إلى 3 أزواج من الرشاشات، بحيث يدعم كل زوج بقيادة أحد الضباط طابورا من الطوابير، وكان الزوج مكلفا بالرماية بالرشاش على أمواج الجنود المهاجمين، حيث يتم فتح النيران من الرشاشات بأمر من قائد الطابور (بعض الأفواج المختارة

في الحرب العالمية الأولى ستحتوي على سرية رشاشات من 8-9 رشاشات ويمكن توزيع كل رشاش على منطقة تخص سرية بحيث يرمي الرشاش بأمر من قائد السرية)، كما يحتوي كل آلاي (فوج)مشاة أيضا على بطارية مدفعية كروب تكون في الغالب من المدافع الجبلية.

كما كان يدخل في تركيب كل فرقة نظامية آلاي (فوج)من المدفعية يضم اثنين أو ثلاثة من بطاريات المدفعية، وتتألف البطارية عادة من 3-4 قطع مدفعية.

وإضافة للمدافع المتحركة كان هناك مدافع ثابتة تسمى مدافع القلعة تتموضع في الحصون، حيث كانت قلعة روزافا مثلا تحتوي عددا من تلك المدافع، وفي الغالب تكون قذائف مدافع القلعة وخاصة الحديثة منها أكبر حجما وأبعد مدى ولكن المدافع غير قابلة للتحريك.

قام الفريق حسن رضا باشا بفرزي ضمن الآلاي (فوج)71 مشاة ضمن أحد البلوكات (السرايا) كقائد لفصيل، وكان رباطنا إلى جانب وحدات من فرقة البيسان عند برديس (Berdica) على طريق بيرات.

بدأت المرابطة في السادس من كانون الثاني عام 1913 في موقع يقع على سهل بجانب تلة تطل على مستنقعات، حيث كان الجنود متوزعين في الخنادق مقابل القوات المهاجمة حيث يتحرك المهاجمون في أراض مكشوفة مقابلنا معرضين لرمايات الجنود من البنادق، أما الجنود الردفاء المسلحون بالسيوف فقد كانوا ينتظرون في خنادقهم للالتحام بالقوات التي تحاول اقتحام الخنادق.

كان في الآلاي (فوج)71 حين تم إلحاقي به 6 رشاشات، وبطاريته المدفعية التي تخصه، كما كانت إحدى بطاريات آلاي (فوج)المدفعية 24 التابع للفرقة مكلفة بتقديم

المعاونة النارية للآلاي (فوج)71، وبهذا كانت المدفعية التي تعاوننا، تضم 7 مدافع، بعد أن كان أحد المدافع قد دمر في وقت سابق لمجيئي.

مضت الأيام الأولى من رباطنا هادئة دون هجمات واقتصر الأمر على بعض التراشق بنيران البنادق والمدفعية من بعيد، وقد استشهد من فصيلتي الأونباشي (عريف) يوسف، وهو تركي من بورصة يوم 19 كانون ثاني، بعد سقوط قذيفة مدفعية قرب خندقنا، كما استشهد الجندي محمد، وهو قروي أرناؤوطي(ألباني)، يوم 15 كانون الثاني بعد إصابته برصاصة في صدره في 13 كانون ثاني حيث نقلناه للوحدة الطبية في الخلف ولكنه استشهد بعد يومين متأثرا بجروحه.

كانت فترة الهدوء مع البرد في كانون ثاني مزعجة لنا أكثر من فترات القتال، وعلى الرغم من كون الجو في شقودرة لطيف نسبيا ولم يكن ببرودة الطقس في جبهة القوقاز والتي عرفناها في الحرب الكونية، إلا أنه كان متقلبا وكانت هناك فروقات كبيرة بين الليل والنهار في الحرارة، ولم نكن نستطيع في الليل إشعال النيران لكي نتدفأ عليها كون النيران كانت سترشد العدو لوجود جنود متجمعين حول نار يتدفؤون حولها.

انقطع هذا الهدوء في 20 كانون الثاني حيث بدأ العدو هجوما على طول الجبهة وكانت جبهة طريق بيرات مركز ثقله الرئيسي.

اندفع العدو في موجات باتجاه خنادقنا وقد فتحت الرشاشات نيرانها على موجاتهم في البداية بينما تولت بطارية المدفعية الرد على نيران مدفعيتهم لشغلها عن قصف خنادقنا تمهيدا لاقتحام العدو.

قام الجنود بتصويب بنادقهم نحو القوات المهاجمة دون إطلاق نيران بناء على أوامر قائد الآلاي (فوج)وانتظروا حتى صار جنود العدو على بعد 150 ياردة وهنا

بدأوا بإطلاق النيران برمايات منسقة، حيث كان على كل قائد فصيل أن يوجه جنود الفصيل للرماية على قطاع ناري معين، وقتل الكثير من جنود العدو في تلك الهجمة وبعضهم قتل على بعد بضعة ياردات من الخنادق.

في اليوم الثاني جدد الكفار محاولات الهجوم ولكن هذه المرة بموجة كثيفة واحدة عوضا عن الموجات المتلاحقة واستطاع بعضهم الوصول لخنادقنا.

اقتحم 5 جنود من العدو النقطة التي كانت فصيلتي ترابط بها فقتل إثنان منهم بنيران جنود الفصيلة داخل الخندق بينما قتل ثالث بطعنة بحربة البندقية من قبل الجندي الشركسي أسعد، وقتلت الرابع بطبنجتي، واستسلم الخامس وأمسكه جنود الفصيلة ولكنني أطلقت النار عليه من طبنجتي فورا، فلم أرد أسرى من الصرب والجبل الأسود، على الرغم أنني أثناء المعارك على جبهة سلانيك سابقا كنت آخذ الجنود الأسرى اليونانيين وأطلب من الجنود عدم إيذائهم، وأقوم بإرسالهم لنقطة تجميع الأسرى، وكذلك فعلت لاحقا مع البلغار في حرب البلقان الثانية، بل إنني شخصيا قمت مع جنودي بتقديم إسعاف أولي لأسير بلغاري حيث تدربت على بعض الإسعافات الأولية في الكلية الحربية، أما عسكر الصرب والجبل الأسو فقد كان لي معهم شأن آخر فلم أكن أريد أن آخذ منهم أي أسير فليس لهم عندي إلا الموت، حتى لو كلفني ذلك التعرض لمحاكمة عسكرية من قيادتي، ولكن هذا لم يحصل والحمد لله.

مع هبوط ظلام الليلة الفاصلة بين يومي 21-22 كانون ثاني كان الهجوم قد توقف وانتهى بالفشل وقد استشهد 6 جنود من الفصيلة أثناء التصدي للهجوم طيلة يومي 20 و 21 كانون ثاني وأصيب 3 نقلناهم إلى نقطة العلاج عاد إثنان منهم بعد أيام فيما تم نقل الثالث للمستشفى في شقودرة حيث عاد منه بعد شهر.

أشير هنا إلى أن جنود العدو على جبهة شقودرة كانوا لا يزالون يستعملون في هجماتهم نظام خطوط المشاة الطويلة وهو نظام قديم يعود للقرن الماضي، ولم يغيروا نظام هجومهم لنظام الوحدات المجزأة المرنة الحركة حتى الوقت الأخير من هذه الحرب.



بعد فشل هجوم العدو في 20-21 كانون ثاني هدأت الجبهة لأسبوعين دون أعمال قتالية تذكر سوى التراشق بنيران البنادق والمدفعية وأصيب جنديان من فصيلتي أرناؤوطي (ألباني)وعراقي يومي 25كانون الثاني و 3 شباط على التوالي، كما نفذت فصيلة مشاة من الآلاي (فوج)71 الذي كنت فيه إغارة ليلية على المواقع الصربية في 28 كانون الثاني، حيث قتلوا عددا من الجنود الصرب في مواقعهم

واغتنموا 6 بنادق واستشهد عسكري برتبة شاويش (رقيب)من الفصيلة التي نفذت الإغارة.

غير أن الحدث الأبرز في شهر كانون ثاني كان استشهاد الفريق حسن رضا باشا، أثناء خروجه من منزل الميرلوا (لواء)والفريق لاجقا أسعد باشا طوبطاني، وهو ضابط أرناؤوطي (ألباني)من أسرة عريقة من ملاك الأراضي الأرناؤوط (الألبان)وكان من أنصار الاتحاديين وقتل أخوه بيد أنصار الخليفة عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد، ثم صار من أصحاب المطامح الشخصية وذو دور خياني سأذكره لاحقا (يذكر أن أسعد باشا طوبطاني كان من بين الوفد الرباعي الذي أبلغ السلطان عبد الحميد قرار عزله إثر انقلاب 1909 وكان الوفد يضم أيضا اليهودي عمانوئيل قراصوه الذي كان ممن عرض على السلطان عبد الحميد بيع فلسطين).

في البداية كان حادث استشهاد الفريق حسن رضا باشا رحمه الله في ظروف غامضة، ولم يخطر لنا أبدا أن يكون مدبرا من أسعد باشا طوبطاني الذي كان يخطط لأطماعه الشخصية لاحقا ويحلم بحكم بلاد الأرناؤوط(ألبانيا).

بعد استشهاد الفريق حسن رضا باشا صار أسعد باشا طوبطاني قائدا للقوات المدافعة عن شقودرة، في نفس الوقت الذي كان قد دخل فيه في مفاوضات مع العدو كما عرفنا لاحقا.

انتهى الهدوء على الجبهة بهجوم كبير لقوات الصرب والجبل الأسود يوم 7 شباط واستمر حتى 9 شباط، وقد هاجم في قطاعنا فرقتان من الصرب وفرقة من الجبل الأسود.

وكان هجومهم الرئيسي باتجاه جوباني–داود آغا على تل بردن جلط (Bardanjolt) للاختراق لاحقا إلى قلب المدينة، بينما تعرض القطاع الذي كنا نرابط فيه لهجوم غير رئيسي لتثبيتنا في مواقعنا واستهدف تل برديس (Berdica)، كان هجومهم هذه المرة بنظام الوحدات الصغيرة المجزأة، وكان القتال شديدا واستمر حتى في ليل 8–9 شباط، وشمل حتى الطعن بالحراب والسيوف والنصال، بل حتى الضرب بالأيادي والأقدام، وقد أمكن صد الهجمات جميعا وتكبدت قوات العدو خسائرا بالآلاف، ورغم أن الكفار أخذوا تل بردن جلط، ولكن لم يغنموا بذلك كثيرا ولم يستطيعوا التقدم أكثر، أما في قطاعنا عند برديس حيث يرابط الآلاي (فوج)71 وتدعمه طوابير من الرديف، فقد خسر عسكر الصرب والجبل الأسود أكثر من ألف قتيل وجريح مع مئات الأسرى وقع أسيران بيد فصيلتي قمت بإعدامهما فورا ولم أرسلهما لنقطة تجميع الأسرى ، بينما استشهد من الآلاي (فوج)100 عسكري بينهم إثنان من الفصيلة التي أقودها، أحدهم أرناؤوطي (ألباني)واسمه الجندي أمير والآخر تركي نسيت اسمه، إضافة للجرحى في صفوف الآلاي.

كان عسكر الصرب يدمج المشاة والخيالة في فرق مشاته، فقد كانت كل فرقة مشاة تحوي على 3 أو 4 آلايات (أفواج) مشاة، وآلاي فرسان، إضافة لآلاي المدفعية الذي يضم 9 بطاريات أغلبها بطاريات مدافع صحراوية (مدافع ميدان) مع بطارية أو أكثر من المدافع الجبلية، وكان الصرب أقوى عساكر البلقان في المدافع، مدافعهم فرنساوية أو روسية دقيقة، ويملكون منها بطاريات مستقلة للمدافع الثقيلة والقوسية (الهاوتزر)، وكان جنودهم شديدي المراس في القتال، متعصبين ومتوحشين لدرجة كبيرة، أيديهم تسبح في دماء الضعفاء، شجعان لدرجة الجنون، كما كان

عسكرهم يملك سلاحا جديدا، ومنظما مثل كل الجيوش الحديثة، وقد ساعدهم على تنظيم عسكرهم وتسليحه الروس والفرنساوية.

أما عسكر الجبل الأسود فقد كانوا كجنود أكثر قوة أجساد ودربة ومراسا في القتال من الصرب، أكثر شجاعة وجنونا، أكثر تعصبا ووحشية، سلاحهم مقبول، ولكن فرق عسكرهم لم تكن تشبه في قتالها الجيوش الحديثة في شيء، بل كانوا يقاتلون كما يقاتل المتمردون وقطاع الطرق غير المنظمون، في القتال كأفراد لا يعلى عليهم، أما كفرق وكتائب فلم يكن قتالهم قتال فرق وكتائب إلا اسما، كانوا أشبه بقطعان من ذئاب برية، عرف عن أهل الجبل الأسود الكرم وحسن الضيافة في بيوتهم، لكن الرحمة نزعت من قلوبهم في حروبهم، لا يرحمون بكاء أطفال رضع، ولا ضعف شيوخ ركع.

ساد الجبهة الهدوء بعدها واستمر الصرب بإطلاق القذائف على قواتنا وعلى المدينة، حيث لم تنقطع قذائف مدافع الصرب على مواقعنا، فقد سقط على المدينة خلال فترة الحصار ما يفوق 35 ألف قذيفة مدفع.

حاول عسكر الصرب والجبل الأسود في يوم 18 آذار شن هجوم عام ركزوا فيها على اتجاهين أحدهما كان اتجاه ليجو والآخر اتجاه قطاعنا على طريق بيرات وقد استطاع الصرب إختراق خط الخنادق الأول باتجاه ليجو لكنهم تعرضوا لهجوم مرتد ورمايات مركزة بالمدفعية من قلعة ليجو فتراجعوا إلى الخلف، أما في قطاع طريق بيرات حيث الآلاي (فوج)71 مشاة فقد وصلوا إلى الخنادق، وجرت كثير من المعارك الإلتحامية بالسيوف وحراب البنادق داخل الخنادق، وقد قتلت شخصيا 3 من الصرب داخل الخندق إثنان منهم بطلقة من طبنجتي والثالث بسيفي في قتال قريب، وخسر الصرب 3 آلاف قتيل وجريح في الهجوم بينهم ألف في القطاع الخاص بالآلاي (فوج)71 مشاة، واستشهد من الآلاي (فوج)117 عسكري من بينهم البكباشي

(مقدم) أنور بيك وهو تركي من غرب الأناضول، والذي كان قائدا للطابور (كتيبة)الذي تنتمي له فصيلتي، كما استشهد من فصيلتي جنديان محمود شوكت أرناؤوطي (ألباني)من القرى المحيطة بتيرانا بشظية قذيفة مدفع، وأحمد ابزاخ شركسي برصاصة في صدره، إضافة للشاويش (رقيب)حسين وهو أرناؤوطي (ألباني)يقود إحدى مجموعات الفصيلة، حيث استشهد بطعنة من حربة بندقية، كما أصبت أنا بطعنة من حربة بندقية الجندي الصربي الذي قتلته بسيفي، حيث أصابتني منه طعنة في الكتف الأيمن فتم نقلي للعلاج أسبوع قبل العودة للقتال.

عاد الهدوء بعدها إلى الجبهة إلى أن قام أسعد باشا طوبطاني بتوقيع استسلامها في 21 نيسان عام 1912 نتيجة لنقص الأغذية والذي تسبب بمجاعة في المدينة، وقد نص الإستسلام على خروج الجيش بكامل سلاحه باستثناء المدفعية مع المحافظة على تقاليد الإحترام العسكري للقوات التي ستخرج وقد بقي الجنود والضباط الأرناؤوط (الألبان)مع أسعد باشا في وسط بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)للمساعدة في إنشاء دولة الأرناؤوط (ألبانيا)، بينما انسحب غير الأرناؤوط (الألبان)وكنت منهم باتجاه أراضي الدولة العلية.

وقد أقنعنا أسعد باشا وقتها بأنه لا أمل بوصول أي نجدة للمدينة من جيش الخلافة نتيجة انقطاع الطريق ووضعه المعقد على باقي الجبهات وقال بأن القوى العظمى في مؤتمر لندن قد ضمنت أن تتحول بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)لدولة مستقلة على أن تحافظ على حيادها كما ضمنت أن تكون شقودرة ضمن الدولة الوليدة.

وبالفعل أخلت قوات العدو مدينة شقودرة في آيار عام 1913 وضمها أسعد باشا لدولة بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)التي أسست لاحقا.

وقد عرفنا لاحقا أن أسعد باشا قد تلقى أثناء الإستسلام مبلغ 10 آلاف ليرة ذهبية إنجليزية (جنيه إسترليني) من ملك الجبل الأسود وعرفنا الأسوأ بأنه كان قد حصل على دعم من الصرب والجبل الأسود للمساعدة في حكم بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)مستقبلا.

وقد بقي ملاك الأراضي والشيوخ في بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)على علاقة طيبة بالدولة العلية وحافظوا على ولاء شديد لها.

لم يطل الأمر بأسعد باشا حتى اضطر لقبول وصاية دولية على دولته الجديدة وانتشار قوات هولندية على أراضيها والأسوأ أنه قبل أن يكون رئيس وزراء لأمير أوروبي هو الأمير غليوم الذي تولى إمارة بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)في السابع من آذار عام 1914 وقد أدى ذلك لثورة الشعب المسلم في بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)حيث اندلعت ثورة شارك فيها الفلاحون والمشايخ طالبت بعودة بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)للدولة العلية، اشتبك فيها الثوار مع القوات الهولندية وكان من قادتها حجي كاملي وموسى كاظمي وعارف حكمتي وقد كان الثوار يحملون راية الدولة العلية، وقد انتهت الثورة باتفاق يقضي بخروج الأمير غليوم من بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)وبقاء أسعد باشا في الحكم يشاركه مجلس من شيوخ الأرناؤوط، وتم استبدال القوات الهولندية بقوات من دولة ألمانيا ودولة النمسا–المجار، واللتان كانتا على علاقة طيبة بالدولة العلية حيث بدأت قواتهما تصل في تموز 1914 قبل اندلاع الحرب الكونية بشهر.

ولكن بلاد الأرناؤوط (ألبانيا)حسب أخبارها التي بقيت لاحقا أتابعها أولا بأول استمرت في الصراعات الداخلية، وبقي أسعد باشا أثناء الحرب الكونية يحاول التقلب واللعب على حبال كل الدول بما فيها مملكة الصرب وبعد انتهاء الحرب الكونية اغتيل في باريس في حزيران عام 1920 حين حاول تمثيل بلاد الأرناؤوط

(ألبانيا)في مؤتمر باريس للسلام بعد الحرب الكونية، وبقي الأرناؤوط (الألبان) ينظرون إليه كخائن وطامع بعد وفاته حتى كتابتي لتلك الكلمات.



حرب البلقان الثانية ... نزهة حربية أعادت لنا شعور الهيبة

بعد استسلام شقودرة عدنا حسب الاتفاق على سفن إنجليزية وطليانية تولت نقلنا حتى أراضي الدولة العلية، وكنت في إحدى السفن الإنجليزية والتي حطت بي في البر الرومي من مضيق جناق قلعة (القسم الأوروبي من مضيق الدردنيل أو شبه جزيرة جاليبولي)، وبعد وصولي وإعادة إلحاقي بالجيش تم فرزي في الآلاي 19 من الفرقة السابعة، والتي كانت ترابط ضمن قطاع الفيلق الثالث لى خط شطالجة (Çatalca) الدفاعي، والذي انتهت عنده حرب البلقان الأولى كثغر فاصل بين الدولة العلية والبلغار.

وبعد انتهاء حرب البلقان الأولى ومعاهدة لندن ما لبث البلغار أن اختلفوا مع الصرب واليونان حول الأراضي، فاندلعت يوم 29 حزيران 1913 الحرب بين تلك الدول، والتي كانت قبل أشهر حليفة في وجه الدولة العلية.

لم تشأ الدولة العلية أن تفوت الفرصة التي سنحت لاسترداد أدرنة والأراضي التي احتلها البلغار في الحرب الأولى، فقامت بتهيئة الجيش المرابط أمام البلغار، وببعض التجهيزات السريعة للحملة، تم تقسيمنا إلى قوة رئيسية وقوة مساعدة.

القوة الرئيسية تعمل على اتجاه شطالجة – لولو بورغاس (Lyuleburgas) – مصطفى باشا (Svilengrad) ، وكانت القوة الرئيسية مقسمة إلى 3 مجموعات من الشمال إلى الجنوب بقيادة الميرلوا (اللواء) أحمد أبوق باشا وحسن عزت باشا وخورشيد باشا، وكانت كل مجموعة تحتوي قوات مشاة وآلاي (فوج) من الفرسان، وكانت فرقتنا السابعة ضمن مجموعة أحمد أبوق باشا المتواجدة في أقصى الشمال.

أما القوة المساعدة فكانت بقيادة فخري باشا تنطلق من البر الرومي لمضيق جناق قلعة (شبه جزيرة جاليبولي) باتجاهين، الأول شمالا باتجاه أدرنة لمساعدة القوة الرئيسية في تحريرها، والثاني يسير بجانب البحر المتوسط غربا للوصول لخط الحدود القديم.

وكانت كل قوات الحملة بقيادة أستاذي أحمد عزت باشا وزير الحربية، كان أحمد عزت باشا ضابطا أرناؤوطيا (ألبانيا) بطينا عظيم الجسد كبير الرأس، مهيب الطلعة، ولطالما أحببته واحترمته منذ أن كان يدرسنا في الكلية الحربية، ولطالما كان بعيدا عن السياسة ومشاكلها والحكم ومتاعبه متفرعا لشؤون الحرب والعسكر، وعين وزيرا للحربية بعد مقتل الوزير السابق محمود شوكت باشا في حزيران 1913، فجاء تعيينه في وقته المناسب عله ينقذ ما يمكن انقاذه في الجيش الذي انقسم على نفسه، وانغمس في الصراع على الحكم وصار ضباطه رجال سياسة.

بدأت الحملة يوم 12 تموز 1913، حين أرسلنا آلايات الفرسان لتعبر الحدود وتكون الطليعة الأمامية لباقي الحملة، اشتبك الفرسان مع بعض الطوابير الصغيرة للبلغار على نهر ماريزا (ماريتسا) وتغلبوا عليها بسرعة، ثم تابعوا تقدمهم وتقدمنا ورائهم، واستولينا على بعض المدن مثل لولو بورغاس (Lyuleburgas)،و لم نصادف أثناء التقدم أي مقاومة من أي قوة من عسكري البلغار، فأثار الموضوع شكنا، فأتتنا الأوامر أن نتحرك ببطؤ ونقوم بتمشيط كل أرض نتقدم إليها.

وبقينا على هذه الحال حتى وصلنا مشارف أدرنة يوم 22 تموز 1913، ثم بدأت قوات المجموعة الوسطى من القوة الرئيسية بدخولها يوم 23 تموز 1913 بالاشتراك مع قوة فخري باشا المساعدة القادمة من البر الرومي لجناق قلعة (شبه جزيرة جاليبولي)، وكان البلغار قد أخلوها، فدخلها أنور باشا في احتفالية خاصة واحتفلت الجرنالات (الصحف) بهذا الفتح، بينما تابعت باقي قواتنا التقدم حتى وصلت إلى

الحدود القديمة بين الدولة العلية وبين مملكة البلغار، تلك الحدود التي كانت قائمة قبل حرب البلقان الأولى، ولم نتعرض لمقاومة جدية من عسكر البلغار، باستثناء ما كان من المواجهة بين آلايات فرساننا وبعض طوابير عسكرهم عند نهر ماريز (ماريتسا)، أو بعض المواجهات الخفيفة منهم بين أدرنة ومصطفى باشا (Svilengrad)، وفي قطاعي في الآلاي (الفوج) 19 الذي كنت فيه لم نخض أي قتال، ومضت الأيام السابقة فقط ونحن نمشي بتمهل ونفتش أمامنا.

فهمنا الآن السبب، البلغار سحبوا جل عسكرهم لمواجهة عسكر اليونان والصرب، ولم يبقى لديهم الكثير لمواجهتنا، ولا لمواجهة عسكر الأفلاق والبغدان (رومانيا) والذي دخل الحرب ضدهم أيضا، على كل لم نكتفي بالوصول لخط الحدود القديم، بل عبرنا الحدود يوم 24 تمور 1913، دافعين آلايات الخيالة أمامنا، فاستولت المجموعة الوسطى على مصطفى باشا (Svilengrad) بعد أن خاضت طليعتها مواجهة خفيفة مع بعض عسكر البلغار، أما في مجموعتنا الشمالية فقد وصل آلاي (فوج) الخيالة إلى يمبول (يامبول وتقع شمال بلغاريا على مسافة ليست بعيدة من الحدود مع تركيا اليوم), وسرنا في إثر آلايات الفرسان ووطئنا بذلك أراض لم تطأها أقدام جيوش الخلافة منذ 35 عاما أو يزيد (يقصد منذ الحرب العثمانية الروسية عام 1877)، ووصل آلاينا إلى بورغاس (مدينة بلغارية على البحر الأسود)، وقد استدعى البلغار بعض التعزيزات من الجبهات الأخرى، وبدأت بشن الإغارات عسكرنا المتقدم أو نصب كمائن لوحداته، ولكنهم لم يتحصنوا في أي مكان أو يقيموا خط دفاع ثابت، بل اقتصر قتالهم على تلك الصورة بأسلوب اضرب واهرب، وكذلك كان قتالهم أيضا لعسكر مملكة الأفلاق والبغدان (رومانيا) الذي تقدم شمال مملكتهم، فعسكر البلغار لا زال جله يقاتل الصرب واليونان،

تابعنا التوغل الحذر وكنا نشتبك بين الحين والآخر مع عسكر البلغار الذي يناوشنا ويختفي، وفي 31 تموز تعرض الطابور الذي كنت فيه إلى كمين من بعض عسكر البلغار، فاشتبك طابورنا معهم ودمرهم فقتل عدد منهم وهرب الباقون، وقد خلفوا ورائهم جريحا لم يستطيعوا نقله، وكنت أنا أول من وصل إليه رفقة بعض الجنود، قمنا بإسعافه ثم أرسلناه للعلاج في ساقة (مؤخرة) العسكر، وقد كانت هذه المعركة الصغيرة أول قتال أخوضه منذ بدأ حرب البلقان الثانية، حيث كانت الأيام السابقة كلها مسير بلا قتال.

تابعنا التوغل بعدها، وكنا نرى مدن وأرياف البلغار أمامنا وقد رحل عنها أكثر سكانها بعد سماعهم باقتراب عسكرنا، ثم صدرت لنا الأوامر من حكومة الدولة العلية في 2 آب بالتوقف حيث نحن وعدم التوغل أكثر فتوقفنا، واستحكمنا في مواقعنا.

في 4 آب تعرض طابوري لهجوم خاطف من شرذمة من عسكر البلغار، فتبعناهم واستطعنا قتل وأسر بعضهم، أرسلت اثنين منهم بنفسي إلى ساقة(مؤخرة) العسكر، كان هذا الاشتباك هو الاشتباك الثاني والأخير لي مع البلغار في تلك الحرب التي كانت نزهة.

وبعد أيام صدرت لنا الأوامر بالعودة لخط الحدود السابق والذي كان قبل حرب البلقان الأولى، فتكون الدولة العلية بذلك قد استرجعت الأراضي التي انتزعها البلغار في حرب البلقان الأولى، وأهمها أدرنة العاصمة القديمة للدولة العلية.

انتهت حرب البلقان الثانية، وعقدت مملكة البلغار مع الدولة العلية اتفاقا في الأستانة (المقصود هو اتفاق القسطنطينية عام 1913 بين الدولة العثمانية والبلغار بعد جرب

البلقان الثانية) يثبت تلك الحدود وينص على احترام حقوق من بقي من المسلمين البوماك ومعاملتهم بالحسنى (البوماك هم المسلمون البلغار وعند سقوط بلغاريا وإعلانها إمارة بعد الحرب الروسية العثمانية عام 1877 تعرضوا للمجازر والاضطهاد وبقي القليل منهم في بلغاريا ولكن أكثرهم كان قد هاجر إلى أراضي الدولة العثمانية).



أسباب كارثة حرب البلقان الأولى... جيش نسي الثغور والتهى بمهاجمة القصور

"وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ * وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ"

سيتساءل الكثيرون، ما هي أسباب خسارة جيش الخلافة هذه الخسارة الكارثية أمام دول البلقان الثلاثة؟ تلك الدول التي كانت في يوم من الأيام ولايات تتبع الدولة العلية.

وللجميع الحق في هذا التساؤل، خاصة لو نظرنا إلى تاريخ الدولة العلية مع تلك الدول، فدولة اليونان مثلا كانت يوما من الأيام تتبع الدولة العلية، فاليونان مثلا كانت جزء من الدولة العلية، قامت بثورة عام 1821 رومية، وتم سحق الثورة تقريبا عام 1825 على يد عسكر الدولة العلية مدعومة بالعسكر المصري الذي قاده إبراهيم باشا، ولولا تدمير الأساطيل الروسية والإنجليزية والفرنساوية للأساطيل العثمانية والمصرية عام 1827 ثم إعلان الروس الحرب على الدولة العلية عام 1928 وسحب جنود الخلافة لرد عادية الروس، ثم تعهد الإنجليز والفرنساويين والروس بحماية اليونانيين لبقيت اليونان ولاية من أعمال الدولة العلية، ولما قامت لهم دولة، وحتى بعد قيام دولتهم تلك التي شملت نصف أراضيهم فقد كانت أقل من أن تقف بوجه الدولة العلية، وحين اندلعت حرب 1897 اندحر فيها عسكر اليونان أمام جيش الخلافة.

أما الصرب فكانوا أيضا تابعين للدولة العلية ولطالما انتفضوا في القرن الماضي وكان عسكر الخلافة يسحق عصيانهم، إلى أن أعطتهم الدولة العلية تحت ضغط القوى العظمى الحق في إمارة تحكم نفسها ولها عسكرها وتتبع الدولة العلية وتدفع لها الضريبة، ولما حاولت تلك الإمارة تحدي الدولة العلية عام 1875 وأثارت القلاقل في بلاد البوشناق (البوسنة) محاولة الاستقلال والتوسع، قام عسكر الخلافة بمحاربتها وسحق تمرد الصرب في بلاد البوشناق، وبعدها قام بغزو إمارتهم نفسها سنة 1876 وألحق بهم عددا من الهزائم وكان على وشك دخول عاصمتهم بلغراد نفسها لولا أن الروس شنوا الحرب سنة 1877 ، وخاضت الدولة العلية تلك الحرب الشهيرة التي انهزمت بها بعد قتال بطولي فحصل الصرب والجبل الأسود وقتها على استقلالهم، كما حصلت إمارة الأفلاق والبغدان (رومانيا) وقتها على استقلالها نتيجة لمشاركتها مع الروس في الحرب.

أما البلغار فكانوا قد ثاروا في سنة 1876 أيضا وسحق عسكر الخلافة ثورتهم، ولكن الحرب السالفة الذكر التي شنها الروس جعلت البلغار يحصلون على إمارة تحكم نفسها تابعة للدولة العلية، وما لبثت تلك الإمارة أن أعلنت استقلالها عام 1908 بعد الانقلاب الذي أعادة المشروطية (الدستور) دون أن تحرك الحكومة الجديدة ساكنا (انشغل الانقلابيون وقتها بالأزمة الداخلية ولم يبالوا بما حصل خاصة أن هذا الانقلاب تبعه انقلاب آخر عام 1908 أطاح بالسلطان عبد الحميد تماما عن السلطنة بعد سنة قضاها مقيد الصلاحيات).

كما رأينا إذا فتلك الأقوام لم تحصل على دول وإمارات إلا بمساعدة قوى عظمى حاربت لأجلها، وهم الروس غالبا، وحين نشبت حروب بين الدولة العلية ودولهم كما في حرب 1897 مع اليونان وحرب 1876 مع إمارة الصرب كانوا ينهزمون لو كانوا لوحدهم، وحتى في حروبنا مع الروس رغم نتائجها النهائية كنا نقاتل بشجاعة

وننتصر في عدة معارك ومعركة بلاونا (بلفنة)، تشهد كما تشهد انتصارات عمر باشا على الروس في حرب القرم قبل تدخل الإنجليز والفرنساويين إلى جانبنا.

فما الذي تغير إذا؟ كيف خسرت الدولة العلية الحرب أمام دول البلقان تلك والتي ليست بقوى عظمى؟

لا ننكر طبعا أن جيوش دول البلقان في السنوات الأخيرة تسلحت جيدا بأسلحة فرنساوية وروسية وغيرها ونظمت جيوشها ودربتها بمساعدة ضباط من تلك الدول.

ولكن لا ننسى أن عسكرنا أيضا مسلح بأسلحة جيدة أكثرها ألماني، صحيح أن شراء الأسلحة الجديدة قد قل بنسبة ما في السنوات الأخيرة من زمان السلطان عبد الحميد رحمه الله نتيجة أزمة تسديد ديون الدولة العلية، لكن مع ذلك فقد كان السلاح الذي بيدنا قبل حرب البلقان لا بأس به في أقل الأحوال.

لا ننكر طبعا أن دول البلقان الثلاث ستشكل لو اجتمعت قوة لا يستهان بها طبعا، ولكن ستبقى أعدادنا عند النفير العام تفوق الأعداد التي لدى تلك الدول.

لا ننكر طبعا أننا لم نصل لكامل القوة العددية في الحرب لأن عسكرنا حين بدأت الحرب لم يكن على تعبئة، ولم نتمكن من زيادة عدده في ساحة الحرب حين اندلعت بسبب تفوق أسطول اليونان (أهمل شأن الأسطول العثماني زمن السلطان عبد الحميد لأنه شك كثيرا بإخلاصه نتيجة لبعض المواقف التي صدرت من رجاله خاصة أن البحرية العثمانية كان قد تم تحديثها وزيادتها زمن السلطان عبد العزيز بإشراف ضباط بحرية إنجليز بقوا يلعبون دورا في تحديث الأسطول العثماني مشابه لدور الضباط الألمان في تحديث الجيش ودور ضباط الجندرمة الفرنسيين في الإشراف على هيكلة وتحديث وتدريب جهاز الدرك المخصص للمهام الأمنية

الداخلية، ولم يثق السلطان عبد الحميد بالأسطول بسبب ذلك فحبسه في بحر مرمرة)، ذلك التفوق الذي حرمنا من إرسال المدد بحرا من الشام والأناضول سواء كان على شكل فرق جديدة أو على شكل جنود تم استدعاؤهم وقت النفير ليلتحقوا بالجبهات، فكان علينا إرسالهم برا ليعبروا مضيق الأستانة (البوسفور) أو مضيق جناق قلعة (الدردنيل)، وطبعا كان إرسالهم في مثل تلك الحالة سيأخذ وقتا، ولم نستطع إرسالهم لساحات الحرب مع اليونان والصرب والجبل الأسود لأن عسكر البلغار كان قد قطع التواصل برا مع تلك الساحات بعد تقدمه في بداية الحرب على جبهته، ولذلك لم نستطع إرسال المدد برا إلا إلى الجبهة مع البلغار حيث استطاعوا بعد وصولهم سد الثغر وكسر اندفاع عسكر البلغار عند خط شطالجة (Catalca) الدفاعي، لكن كان طريق إرسال التعزيزات برا لساحات الحرب مع اليونان والصرب والجبل الأسود قد انقطع بعد تقدم الكفار في عدد من من المناطق في بدايات الحرب.

كل هذه أسباب لا نستطيع أن ننكرها لكن ليست تلك الأسباب الحقيقية ولا تعفينا من مسؤوليتنا كضباط إن لم نقل جريمتنا.

كان باستطاعة جيشنا أن يقاتل بشكل أفضل بكثير حتى ضمن تلك الظروف، لو قاتلنا بنفس الروح التي قاتلنا بها في الحرب الكونية لكانت النتائج أفضل بكثير بإذن الله، والحق أن خزائن وزارة الحربية كانت تحوي خططا لحرب مع دول البلقان مجتمعة كانت تقضي بالتركيز هجوما على الصرب وكسرهم في نفس الوقت الذي ندافع فيه أمام اليونان والبلغار، ثم بعد إخراج الصرب نضرب اليونان بشكل أسهل لنركز أخيرا على البلغار وهم أقوى عساكر البلقان، وطبعا من الصعب عليهم حينها الصمود لوحدهم أمامنا لو استفردنا بهم.

لكن حين اشتعلت الحرب لم نستطع تنفيذ شيء من تلك الخطط التي كانت على الورق، السبب أن جيشنا دخل الحرب منقسما على نفسه، يكيد بعضه لبعض ولا أعفي نفسي من المسؤولية.

لم يكن الذنب ذنب جنودنا الذين قاتلوا بشجاعة وبإخلاص ولا ذنب الأمة التي وثقت بنا وقطعت اللقمة عن فمها لتنفق علينا، لنكون العسكر الذي يجاهد في سبيل الله ويحمي أرضها وعرضها ويذود عن حماها، الذنب ذنبنا نحن الضباط ، نحن من أعطتنا الأمة الإسلامية ثقتها ولم نكن على قدر تلك الثقة، ضيعنا أنفسنا وضيعنا عسكرنا وضيعنا الأمة والخلافة معنا حين نسينا أن واجبنا هو الرباط على الثغور لحماية دولة الإسلام وليس مهاجمة القصور لتغيير الحكام.

بدأت القصة حين قمنا بانقلاب 1908 لإجبار السلطان عبد الحميد رحمه الله على العودة للعمل بالمشروطية، وأدخلنا الجيش في فوضى وصار شيعا وأحزابا، وسادت الجيش الفوضى بين مؤيد للسلطان وبين مؤيد للاتحاديين، وكنت من المشاركين في تلك الجريمة فقد كنت إتحاديا متعصبا وقتها حين كنت لا أزال طالبا في الكلية الحربية في اسطنبول، فاحتفلت بذلك الإنقلاب مع عدد من أصدقائي الطلاب الضباط، وقد شدني ككثير من الضباط الشبان شعارات "حرية–عدالة–مساواة" والدعوة إلى المشروطية وإنهاء الاستبداد وغير ذلك من الشعارات التي طرحها الاتحاديين، وقد هللت لانقلاب 1908.

كنا كإتحاديين نحلم أن ترتقي دولة الخلافة على يدينا لتضاهي باقي دول الفرنجة، كنا نحلم بدولة شورى وحريات ومالية مزدهرة وجيش قوي، نحلم أن نخلص البلاد من النفوذ المالي الأجنبي ونظام الامتيازات وظننا أننا نحن من سيكون الخلاص على أيدينا بإرادة من الله.

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ" .

طبعا انتقلت عدوى الفوضى والتمرد منا إلى جنودنا الذين شارك الكثير منهم في حادثة 31 آذار (حادثة اتهم السلطان عبد الحميد بتدبيرها وثبت لاحقا أنه لم يكن لديه علم بها وكانت على الأرجح من تدبير الاتحاديين أو اليهود، ناوأت تلك الحركة الاتحاديين واتهمتهم بمعاداة الشريعة وكانت تهدف إلى العودة للنظام القديم وشارك بها طلاب المدارس الدينية والعديد من العامة والجنود وشهدت اقتحام مجلس النواب العثماني وأعمال شغب وتصفيات بحق الاتحاديين) وقاموا بقتل ضباطهم ودخلوا مع من دخل في تلك المعمعة، وبدل أن أكون أنا وغيري ممن يصلح الأوضاع كنت أحد الأطراف فقد تحصنت في ثكنة عسكرية في الأستانة، وحين قدم جيش الحركة (الجيش الثالث بقيادة الذي قدم من سالونيك ليقوم بالانقلاب الثاني) بقيادة محمود شوكت باشا كنت ممن استقبله استقبال الفاتحين، وشاركته الهجوم على مباني السراي.

خلعنا السلطان عبد الحميد وأتينا بسلطان رمز لا حول له ولا قوة، وقمنا بمطاردة أنصار السلطان عبد الحميد ووصفناهم بالارتجاعيين وأردنا تطهير الجيش منهم ما أمكن.

ولم يقف الأمر عند هذا فقد انقسم الجيش إلى إتحاديين (جماعة الاتحاد والترقي) وائتلافيين (جماعة الحرية والائتلاف) وقبيل حرب البلقان، وكان الائتلافيون قد اتهمونا بالتزوير في انتخابات 1912 ، وكان لهم أنصارهم داخل الجيش الذين سموا أنفسهم بالضباط المنقذين والذين أجبرونا على إعادة الانتخابات حيث تم لاحقا تنصيب حكومة من الائتلافيين كان الصدر الأعظم فيها كامل باشا الذي جاهر بعدائه لنا، وكان وزير حربيتها ناظم باشا الذي كان يكرهنا للموت وبادلناه الكراهية،

أقول بكل خجل أنه في تلك الأحداث قبيل حرب البلقان الأولى كنت وأقراني من الاتحاديين قد نسينا التفكير بالحرب مع الكفار وصار همنا الكيد لأندادنا الائتلافيين ولا تسيطر علينا إلا فكرة أن نطيح بهم ونسحل ناظم باشا في شوارع الأستانة، بهذه الروح كنا حين اشتعلت حرب البلقان الأولى ويا للعار.

دخلنا تلك الحرب ولم توحد قلوبنا للأسف، بل في عز الحرب قام الاتحاديون بزعامة الباشوات أنور وطلعت وجمال بانقلاب أواخر كانون أول 1913 وأطاحوا بحكومة كامل باشا وقتلوا ناظم باشا وزير الحربية ونصبوا محمود شوكت باشا صدرا أعظما، وقتل محمود شوكت باشا لاحقا في حزيران 1913 انتقاما.

حدثت تلك الأحداث والحرب قائمة وقلوبنا لم تكن متفقة فأضعنا البلقان وأضعنا الأمة معنا، أكتب هذه الكلمات وأنا أذكر ذلك المشهد منذ 20 عاما لجنودنا وهم يتدافعون منسحبين بذعر في معركة ينجي فاردار، ذلك المشهد الذي أراه ماثلا أمامي كما أرى شيئا يحدث في التو واللحظة، كل ما أذكر ذلك المشهد تدمع عيناي لأنني كنت ممن جنى عليهم من الجانين، فأنا كنت من الضباط الذين تحزبوا وتشيعوا وبالتالي أحمل مسؤولية ما جرى مثل ما يحملها غيري، حرب البلقان الأولى وصدمتها كانت بداية يقظتي من ذلك الإثم الذي انغمست فيه، رغم أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أننا حتى كضباط قاتلنا بشجاعة وبإخلاص لكن هذا لا ينفع لأننا لم نكن على قلب واحد وبقي تفرقنا حتى أثناء الحرب وكان الضابط منا لا يثق بضابط آخر إن كان من الجماعة الأخرى.

هذا ما جنيناه على الجيش والأمة في السنوات التي سبقت حرب البلقان الأولى فأضعنا البلقان ولنبك إذا كالنساء ملكا لم ندافع نه كالرجال، والويل لنا إن لم يغفر الله لنا ويرحمنا، نسأل الله أن يكون جهادنا الصادق في الحرب الكونية كفارة لنا عن ما حدث في حرب البلقان، إن الله غفور رحيم.

"قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا".



إعادة تجهيز وتنظيم الجيش بعد حرب البلقان .....

جهود جبارة أعطت ثمارها في الحرب الكونية

"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"

بين حربي البلقان والحرب الكونية خضع جيش الخلافة لإعادة تنظيم وتعويض للخسائر في السلاح والتزود بكميات كبيرة منه، إضافة للتدريب على طرق قتال وخطط جديدة.

فبعد فترة أمضاها أحمد عزت باشا كوزير للحربية قام خلالها بلم شعث الجيش، استلم أنور باشا وزارة الحربية في كانون ثاني عام 1914 وكان قد أحكم القبضة على الجيش وأبعد عددا من الضباط الكبار الائتلافيين ونجح في كسب قلوب آخرين، وفرض النظام والتعاون على باقي ضباط الجيش، وبذل همة عالية وسهر الليالي على تنظيم الجيش وتدريبه وتجديد شبابه، فقد كان أنور باشا شابا متحمسا نشيطا ذو حمية دينية وإن كان فيه طيش، ولكن لا يمكنني أن أشكك لا بإخلاصه ولا بتفانيه.

على صعيد نظام تعبئة العسكر فقد كان النظام القديم الذي كان يتم فيه تعبئة الجند العامل وجنود الخدمة الواجبة (من يخدمون إلزاميا) وجنود الخدمة المنتهية القريبة (الذين أنهوا الخدمة من 6 سنوات فما أقل) وقت الحرب في فرق نظامية، والجنود الردفاء (الذين أنهوا الخدمة من أكثر من 6 سنوات وأقل من 15 سنة) في فرق رديف سيئة التجهيز ترابط ضمن مناطقها للدفاع والهجوم المحلي، بينما يتم فرز

جنود المستحفظان (المستحفظة وهم من أنهوا الخدمة من أكثر من 15 سنة ولم يبلغوا سن الإعفاء من الجندية الذي كان يتغير في كل فترة وهو 40 سنة عادة وأحيانا يصل إلى 45 سنة) على فرق مستحفظة يقتصر دورها على الدفاع المحلي الثابت.

تم تغيير ذلك النظام، فبقي وضع الجند العامل وجنود الخدمة الواجبة وجنود الخدمة المنتهية القريبة كما هو، أما جنود الرديف فقد صاروا يفرزون عند النفير في فرق مرقمة (ذات أرقام ولا تسمى باسم المنطقة كما كانت سابقا) يتم إرسالها للجبهات إلى جانب الفرق النظامية، وصار كل جنود تلك الفرق يزودون بالسلاح الناري بل سعى أنور باشا لتزويد الفرق المشكلة حتى من الجنود الردفاء بمستلزماتها من المدافع والرشاشات، أما الجنود المستحفظة فقد صارت الخطة أن يتم فرزهم عند النفير في فرق أيضا تكلف بمهام الدفاع عن الشواطئ، أو البقاء للدفاع عن الحواضر والبلدات في الخطوط الخلفية أو للتصدي لتشكيلات الطابور الخامس التي تثير القلاقل من العناصر غير المسلمة التي تقوم بمحاربة الدولة في عمق أراضيها بتحريض الكفار، وصار النظام أن يزود كامل جنود تلك الفرق أيضا بالسلاح الناري وإن كان قديما.

بالنسبة للتشكيلات العونية (وهي قوات غير نظامية يتم تشكيلها من العناصر التي كانت لسبب أو لآخر لا تدخل في الجيوش النظامية مثل القبائل العربية البدوية وسكان الحجاز واليمن والقبائل الكردية الراحلة التي لا يعيش أفرادها عيشة مستقرة في المدن والأرياف حيث كان المستقرون منهم يخدمون ضمن الجيش النظامي) فقد بقي وضعها كما هو مع الاهتمام أكثر بتسليحها وتنظيمها، وقضى النظام أيضا أن يزودوا بالسلاح الناري وإن كان قديما جدا.

أما على صعيد تقسيم الفرق فقد كانت فرق المشاة النظامية سابقا تحتوي إضافة لآلايات أفواج) المشاة والمدفعية على طابور (كتيبة) رماة بنادق يزود جنودها ببنادق ذات الطلقة الواحدة التي تعود لستينات القرن الماضي وعفا عليها الزمان، مثل البنادق الأمريكية رولنك (Remington Rolling Block M1866) والإنجليزية سنيدر (Snider–Enfield Mk III)، وبعض البنادق التكرارية القديمة مثل الامريكية ونشستر (Winchester M1866) المعروفة ببندقية هنري وكانت تلك الطوابير نسميها المشاة الخفيفة، ووظيفتها تقديم الدعم لقطاع معين بأمر من قائد الفرقة ويقوم جنودها بإطلاق النار جماعيا من بنادقهم، تم إلغاء تلك الطوابير خاصة أن معظم الجيوش الحديثة كانت قد ألغتها، وتم توزيع جنودها على آلايات المشاة وتم تخزين بنادقها في المستودعات.

صارت فرقة المشاة على النظام الحديث مكونة من 3 آلايات (أفواج) مشاة في العادة، وآلاي من المدفعية، وبلوك(سرية) من المشاة الراكبة، وبلوك مهندسين، وبلوك طبي، وبلوك برقيات (سرية تلغراف).

كان كل آلاي (فوج) من المشاة يحتوي على 3 طوابير(كتائب مشاة) وبلوك (سرية) رشاشات تملك عادة 6 رشاشات و3 أو 4 جنود يرافقون قائد الآلاي، وكل طابور مشاة يحتوي عادة على3 أو4 بلوكات (سرايا) مشاة إضافة إلى 4 جنود يرافقون قائد الطابور تحت أمرته المباشرة، أما بلوك (سرية) المشاة فيحتوي عادة على 3 أو4 فصائل مشاة إضافة لجنديين يرافقان قائد البلوك، أما الفصيلة فتحتوي على 4 مجموعات مشاة أو أكثر إضافة إلى 4 جنود وصف ضابط برتبة شاويش(رقيب) أو باش شاويش (رقيب أول) يرافقون قائد الفصيلة، بينما تحتوي مجموعة المشاة على ما بين 9 إلى 12 جنديا.

آلاي المدفعية صار يحتوي طابورين، الطابور الأول مدفعية صحراوية (مدفعية ميدان)، والطابور الثاني مدفعية جبلية، على أن يتشكل آلاي المدفعية من 6 بطاريات، تتكون البطارية من 4 مدافع، وغالبا ما تتوزع 3 بطاريات مدفعية على كل طابور، يقدم طابور المدفعية الصحراوية (مدفعية الميدان) الإسناد للفرقة بينما يقوم طابور المدفعية الجبلية إما بنفس المهمة أو يفرق قائد الفرقة بطاريته بمعدل بطارية على كل آلاي مشاة ليقوم بتقديم التغطية له.

بالنسبة لبلوك ٍ(سرية) المشاة الراكبة الملحق بقائد الفرقة فهم جنود مشاة جيدو التدريب يركبون على الخيول وينزلون عنها ليقاتلوا قتال مشاة، وكان هذا البلوك يرافق قائد الفرقة ويتحرك بأمره، كما يقومون بمهام الاستطلاع أو نقل الرسائل.

أما البلوك الطبي فقد كان فيه طبيب أو اثنان ومعه مسعفون وتمرجية (ممرضون) ونقالون، وغالبا ما يراعى في عدد البلوك أن يكون هناك مسعف أو تمرجي على الأقل لكل بلوك.

أما بلوك التلكراف فكان يتألف من عامل أو اثنين للاستقبال وإرسال على جهاز البرق (التلكراف) ومعه عمال صيانة وجنود للحراسة والنقل.

بلوك المهندسين كان يحتوي مهندسين ومعداتهم وخاصة معدات التلغيم.

تم وضع الجنود والضباط الذين خاضوا حرب البلقان في الفرق المفضلة والتي شكلت الجيش الأول وهي الفرق الأولى والثانية والثالثة في الفيلق الأول، والرابعة والخامسة والسادسة في الفيلق الثاني، والسابعة والثامنة والتاسعة في الفيلق الثالث.

وقد بقيت أنا ضمن الفرقة السابعة في الآلاي 19 وتواجدنا في الأستانة ومحيطها، وكان فيلقنا في البر الرومي لمضيق جناق قلعة (الساحل الأوروبي للدردنيل)، حيث تواجدت فرقتنا بين ييني كوي وبولاير.

بالنسبة للسلاح الناري فقد كان السلاح القياسي المستعمل للجنود هو بنادق الموزر الألمانية بأنماطها المختلفة، تم إعطاء الموزر الحديثة نمط 1903 و1905 لجنود فرق الجيش الأول وجنود الضابطية العسكرية(الشرطة العسكرية)،

أما الموزر أنماط 1893 و1890 فوزعت على باقي فرق الجيش سواء الفرق العاملة (ألمؤلفة من الجنود المحترفين وجنود الخدمة الإلزامية) منها وسواء الفرق التي تشكل عند النفير (المكونة من جنود الرديف وجنود الخدمة المنتهية القريبة)، وكان قطر الطلقة واحدا لكل البنادق السابقة.

أما الموزر نمط 1887 والتي كانت ذات طلقة بقطر مختلف عن طلقة باقي الأنماط فقد تم تخصيصها للفرق الخلفية التي تشكل وقت النفير من جنود المستحفظان، كما تم تخصيصها أيضا لجنود الضابطية (الشرطة) والدرك.

نذكر أن مصانع الدولة العلية كانت تصنع بنادق الموزر محليا.

بالنسبة لبنادق المارتيني وبنادق الطلقة الواحدة مثل رولنك وسنيدر فقد تم توزيعها على التشكيلات العونية ومعها بعض بنادق هنري وينشستر 1866 أما الضباط فيتسلحون بالطبنجات وقد كانت الطبجنة الأمريكية الجديدة (Browning M1903) من نصيب ضباط الجيش الأول وضباط الضابطية العسكرية، أما طبنجة الموزر الألمانية (Mauser C96) فكان من نصيب ضباط باقي فرق الجيش، أما الطبنجات الأقدم مثل الطبنجة الأمريكية القديمة (Smith Wesson Model 3) فكانت من نصيب ضباط الفرق الخلفية وضباط الضابطية والدرك.

بالنسبة للمدافع والرشاشات فقد كان لدينا ما يكفي ويزيد للفرق العاملة، لكن حين اندلعت الحرب الكونية بقي هناك نقص لتزويد الفرق المشكلة عند النفير ولذلك فإن عدد من تلك الفرق كان يحتوي على 12 مدفعا، كما أن عددا من الآلايات التي

شكلت عند النفير كانت تحتوي على بلوك رشاشات مكون من 4 رشاشات، بل إن بعض تلك الآلايات كانت لا تحتوي على بلوكات رشاشات حين اندلعت الحرب الكونية.

تمت ترقيتي إلى رتبة يوزباشي (نقيب) في 16 شباط 1914 رومية، وأرسلت مع مجموعة من ضباط الجيش الأول بعدها بأسبوع إلى بلاد الألمان في ولاية بيرن (بايرن أو بافاريا)، وقمنا هناك بدراسة بعض الأساليب الحربية الألمانية في التحصين وفي مهاجمة الخنادق مع دروس ومبادئ في التخطيط الحربي وخاصة نظريات كلاوزفيتز وفون مولتكه.

وقمنا بتدريبات عملية على قيادة البلوكات والطوابير في 21 آذار 1914 و23 نيسان 1914 .

عدت إلى بلاد الدولة العلية في 28 آيار 1914 وعينت قائدا لأحد البلوكات في الآلاي 19 .

في 8 حزيران 1914 تم تكليفنا من قبل قائد الآلاي أنا وقادة البلوكات بقيادة هجوم ميداني تدريبي كل منا للبلوك الذي يقوده وخضنا معركة تدريبية في اليوم التالي.

في 27 حزيران قام الآلاي 19 بمعركة تدريبية استمرت يومين كان فيه الطابور الذي كنت ضمنه مكلفا بهجوم مباشر على عدو مفترض ليقوم بهجوم أمامي ليقوم طابور آخر بضربه من الجنب.

في 7 تموز خضنا معركة دفاعية مفترضة ضمن الخنادق لمدة 3 أيام.

وفي 6 آب قامت الفرقة السابعة بمعركة هجومية مفترضة لمدة 3 أيام كان الآلاي 19 مكلفا فيها باختراق خنادق العدو من أضعف نقاطه.

وكانت الدولة في هذه الأثناء لم تدخل الحرب الكونية بعد.



الحرب الكونية ... انتصارات مشرفة جرفتها عواصف الحرب

اندلعت الحرب الكونية في النصف الثاني من عام 1914 رومية وذلك بعد اغتيال متعصب صربي لولي عهد إمبراطورية النمسا–المجر (هنجاريا) ، وكنا نتابع أخبارها بشغف وكان هوانا كضباط مع الألمان، سرنا كثيرا اجتياح عسكر النمسا – المجار لأراضي الصرب وبدا أن عسكرهم سيبتلع دولة الصرب، ولكن الصرب استطاعوا لاحقا إيقافهم وإلحاق هزيمة ثقيلة بهم في آب، رقصنا طربا للهجوم الألماني على الفرنسيين في آب 1914 ، وقد وصل الألمان إلى مشارف باريس وبدا أن الحرب ستنتهي بأسرع مما نتوقع، قبل أن يوقفهم الحلفاء في أيلول من ذلك العام، قام الروس في شهر آب بمهاجمة ألمانيا في بروسيا الشرقية ومهاجمة النمسا–المجر في كاليخيا (جاليسيا) لتخفيف الضغط عن حلفاؤهم وتوغلوا في أراضي الألمان والنمسا–المجار، إلى أن دحرهم الألمان بهزيمة مذلة دمرت كثيرا من قواتهم، وقتلت وجرحت وأسرت ما يقارب المائتي ألف من عسكر الروس في مكان شهد هزيمة أجدادهم أمام الصقالبة (السلاف) منذ قرون (معركة تاننبرغ وقد أصر الألمان على تسمية المعركة بهذا الاسم رغم أن أحداثها جرت في مكان يبعد قليلا عن تاننبرغ كنوع من الثأر لهزيمة أجدادهم منذ قرون)، وانتقل الألمان للهجوم وبدأوا دخول أراضي بولندا وسط ترحيب البولنديين الذين كانت علاقتهم بالروس سيئة.

كنا نتابع تلك الأخبار وسط جدل بيننا حول دخولنا لتلك الحرب، فمنا من تحمس لانتصارات الألمان حيث كان هناك إعجاب لا نستطيع كبته بالعسكرية الألمانية،

ومنا من رأى أن تبقى الدولة العلية على الحياد وتستثمر النتائج النهائية للحرب، وكنت من المتحمسين لدخولها إلى جانب الألمان ككثير من الضباط الشباب.

دخلت الدولة العلية الحرب ضد الإنجليز والروس والفرنساويين إلى جانب الألمان ودولة النمسا–المجار في شهر تشرين أول عام 1914، وذلك بعد قيام المدرعة (البارجة) ياووز سليم بضرب موانئ روسية في القرم، فأعلن الروس الحرب على الدولة العلية وتبعهم كل من الإنجليز والفرنساويين.

كانت فرقتنا السابعة بقيادة القائم مقام (عقيد) أحمد رمزي بيك في تلك الأثناء تتواجد في آق باش غير بعيدة عن الأستانة ومضيق جناق قلعة (الدردنيل)، وفرقتنا كانت تتبع الفيلق الثالث بقيادة أسعد باشا وهو نفسه الذي كان يقود فيلق يانيا في حرب البلقان الأولى، وكنت لا أزال في الآلاي 19 بقياد البكباشي (مقدم) صبري بيك.

لم تكن بدايات الحرب مشجعة كيرا بالنسبة لنا، أول معركة على الأرض حدثت حين قام جيش الروس بهجوم في 2 تشرين ثاني في منطقة قبرقوي (K?prük?y) من أعمال أرضروم، وبعد معارك استمرت أسبوعين استطاع الجيش الثالث بقيادة الفريق عزت باشا إيقاف الروس، ثم شن عليهم هجوما مرتدا ودحرهم إلى ما وراء حدودهم، وخسر الروس ما بين 40 إلى 50 ألف قتيل وجريح وأسير في هذا الهجوم الفاشل، وكانت خسائرنا ثلث خسائرهم.

أدت هزيمة الروس في هذه المعركة إلى تشجيع عدد من الضباط ومن بينهم أنور باشا لمهاجمتهم وشن حملة على القوقاز، عارض ذلك ضباط آخرون من بينهم حسن عزت باشا قائد الجيش الثالث الذين رأوا أن فرص الهجوم قليلة مع اقتراب برد الشتاء القارس في تلك النواحي وخاصة أن جنود الجيش الثالث غير مجهزين

بملابس جيدة لفصل الشتاء، بينما أصر أنور باشا على الهجوم ورأى أن الانتظار للربيع يعطي الروس فرصة لزيادة عددهم وجلب إمدادات، تولى أنور باشا قيادة الجيش الثالث بنفسه في كانون أول وهاجم الروس في 22 كانون أول وكان هدف الحملة قارص وأردهان، استمرت المعارك أقل من الشهر بقليل، وكانت بداية الحملة موفقة وخطة أنور باشا كانت ناجحة وبدا جيش الروس في القوقاز على وشك الانهيار، حتى أن قادة عسكر الروس فكروا بالانسحاب لولا قدوم قائد عنيد اسمه يدينتش (يودينتش) ومعه تعزيزات وأصر على المقاومة، عانى عسكرنا كثيرا في الثلوج وتجمد الكثير منه قبل قتالهم للروس، وانسحب في نهاية الحملة التي سميناها معركة صاري قاميش بعد خسائر كبيرة وكان من تجمد منهم أكثر من استشهد في القتال، وقد كانت خسائر الروس كبيرة أيضا وقد وقع الكثير منهم أسرى في المرحلة الأولى من الهجوم حين كان عسكرنا يتقدم.

وعرفت لاحقا أنه كان من بين شهداء تلك الحملة زميلي في الدراسة في كلية العلوم الحربية اليوزباشي (نقيب) حسن العمري، وهو عراقي من الموصل وكان زميل الدراسة والسكن في الأستانة وحزنت عليه كثيرا، وعموما فإن معركة صاري قاميش قد جعلت لجبهة القوقاز أثرا خاصا في نفسي جعلني أحب القتال في تلك الجبهة أكثر من غيرها، تلك الجبهة التي سأشهد فيها لاحقا خيبة وكثيرا من المعاناة ثم انتصارات تضيع بسبب انتهاء الحرب على غير ما نشتهي.

و قد قام الإنجليز بإنزال قواتهم الهندية التي يقودها ضباط إنجليز على الفاو جنوب العراق في 6 تشرين ثاني من ذلك العام، حيث كانت في مواجهتهم في منطقة الإنزال نصف كتيبة من الفرقة 38 والتي كانت لم تكمل تعبئتها بعد وكلفت بحماية

البصرة ومحيطها، وبعد معارك استمرت شهرا سميناها معارك شط العرب استطاعوا احتلال البصرة ووصلوا إلى القرنة التي تشكل التقاء الفرات بدجلة في العشر الأوائل من كانون أول (تم احتلال القرنة في 9 ديسمبر 1914)، وقد ساعدهم في ذلك تفوق أسطولهم إضافة لكون خط السكة الحديد لم يصل إلى البصرة حيث كان ينتهي في بغداد، ولكن أمكن إيقافهم في البصرة على أن يتم مهاجمتهم لاسترداد البصرة لاحقا (أول محاولة عثمانية جدية لاسترداد البصرة كانت بقيادة العقيد سليمان العسكري في معركة الشعيبة في 12 إبريل 1915).

أما الجيش الرابع في الشام فقد استولى تدريجيا على سيناء دون عناء حيث كان الإنجليز يخلونها أمامهم.

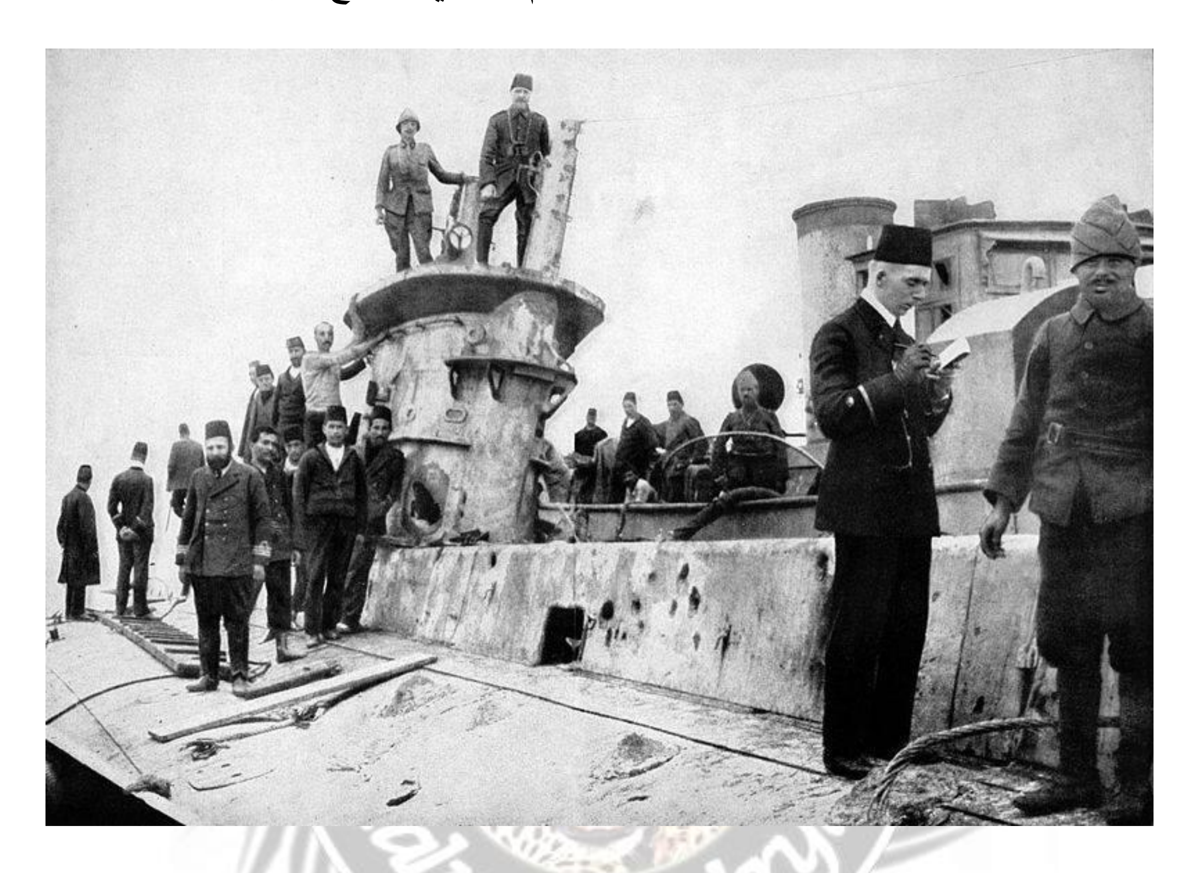
قررت القيادة في شهر كانون ثاني عام 1915 سحب الفرقة الثامنة من فيلقنا وإلحاقها بالجيش الرابع بقيادة جمال باشا والذي كان يتحضر لحملة الترعة لتحرير مصر.

عبر الجيش سيناء في كانون ثاني وهاجم الترعة (قناة السويس) في بداية شباط 1915 ولكنه لم يستطع العبور بعد أن تصدت له المدرعات (البوارج) الفرنسية والإنجليزية.

أما في منطقتنا قرب الأستانة، فأذكر أن غواصة إنجليزية هاجمت السفينة مسعودية في 13 كانون أول 1914، وقد كانت سفينة قديمة تعود لسبعينات القرن الماضي تواجدت عند قبالة مضيق جناق قلعة لتعمل كبطارية ثابتة للمدافع البحرية، غرقت السفينة واستشهد 10 ضباط بحرية و25 بحارا على متنها، حاولت غواصة فرنسية القيام بعمل مماثل في 28 كانون ثاني ولكن قارب زرع الألغام الشهير نصرت مع القارب والقارب عيسى ريس رصدوها وفتحوا عليها النار وأصيبت وقتل

عليها 14 بحارا فرنسيا فيما بقي13 بحارا على قيد الحياة قاموا بالسباحة حتى الشاطئ.

كانت أعمال غواصات الكفار تلك مقدمة للهجوم البحري الواسع على جناق قلعة.



هجوم جناق قلعة البحري ... معركة كسرت هيبة أسطول الإنجليز من قلوبنا

"إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"

أراد الإنجليز والفرنسيون توجيه ضربة قاصمة للدولة العلية باحتلال عاصمتها لإخراجها من الحرب، إضافة إلى أن سيطرتهم على مضيقي جناق قلعة (الدردنيل) والأستانة (البوسفور) يفتح الطريق البحري بينهم وبين الروس، وكان على أي هجوم بحري من الإنجليز نحو الأستانة أن يخترق مضيق جناق قلعة عابرا بحر مرمرة للوصول للعاصمة.

كان الجيش الأول هو المكلف بحماية الأستانة وقد نشر فرقه الجيدة التجهيز على طرق الاقتراب البرية المحتملة من العاصمة، ومن بينها فرق فيلقنا الثالث والتي سيكون عليها تغطية اتجاهات الاقتراب المحتملة من جناق قلعة.

وإضافة لتلك الفرق فقد كان الجيش الأول يضم ضمن قواته قيادة قوة تحصينات، وهي قوة تحصينات جناق قلعة والمكلفة بصد أي هجوم بحري عبر المضيق.

وكانت قوة تحصينات جناق قلعة تحت قيادة الأميرالاي جواد باشا وتضم 3 آلايات (أفواج) مدفعية، وبلوك (سرية) هندسة تحصينات، وبلوك هندسة بناء وإنشاء، وبلوك إتصالات، ومفرزة ألغام بحرية، ومفرزة كشافات ورصد بحري تضم 8 كشافات، ومفرزتين مستودعات ذخيرة، وسرب نقل بحري من عدد من القوارب.

كانت المدافع التي كانت تحتويها آلايات المدفعية الخاصة بالمنطقة المحصنة من المدافع القديمة مثل المدفع القوسي (الهاوتزر) الكروب ذو القطر 5 بوصات (120 ملم) من نمط 1892 حيث أن القيادة وجدت أن خير مهمة لذلك المدفع بعد انقضاء زمانه هي تحويله للدفاع الساحلي، كما كان هناك عدد كبير من المدافع من عيارات أكبر تم تفكيكها من السفن الحربية القديمة التي خرجت من الخدمة، مثل مدافع 6 بوصات (150 ملم)، و9 بوصات ونصف (240 ملم)، حيث تم تفكيك الكثير من تلك المدافع مع أبراجها أو صناعة أبراج جديدة لها وتم نصبها في مواقع ثابتة، ورغم قدمها وقلة المسافة التي تصلها قذائفها، ولكن كان لا بأس بها لضرب السفن، فهي أصلا مدافع بحرية، ولكن عانينا من مشكلة تأمين الذخيرة الكافية لتلك المدافع خاصة أن عددا منها عفا عليه الزمان.

تم تقسيم الدفاعات البحرية عن مضيق جناق قلعة إلى 3 أقسام، المنطقة الأولى وتقع عند فم المضيق ونقطة التقائه بالبحر المتوسط بين أرطغرل على البر الرومي (الأوروبي) وأورخانية على البر الأناضولي (الآسيوي)، وتنتشر فيها على جانبي المضيق مدافع ثابتة تم تفكيكها من السفن القديمة، أما المنطقة الثانية فتقع خلف المنطقة الأولى وسط مياه المضيق وتنتشر فيها على جانبي المضيق مدافع الكروب ذات القطر 5 بوصات والتي يمكن تحريكها وتبديلها بسهولة، أما المنطقة الثالثة فتقع خلف المنطقة الثانية، عند نقطة التقاء المضيق ببحر مرمرة وتنتشر فيها على جانبي المضيق مدافع ثابتة تم تفكيكها من السفن القديمة، كما تتواجد هناك مفرزة الألغام البحرية حيث كانت هناك خطط مسبقة لنشر الألغام البحرية في مناطق معينة.

وكانت المنطقة الأولى تشكل بوابة دخول المضيق، ولكن الجهد الأساسي للدفاع يقع على المنطقة الثالثة، أما المنطقة الثانية بينهما فكان دورها ضرب الكاسحات قبل وصولها للمنطقة الثالثة وتنظيف الألغام، وذلك في حال تم خرق المنطقة الأولى.

قامت 12 سفينة إنجليزية وفرنسية بينها مدرعات (بوارج أو طرادات مدرعة) على الأقل بأول هجوم لها في 19 شباط 1915، حيث قامت مدرعات إنجليزية وفرنسية بقصف المنطقة الدفاعية الأولى من مسافة بعيدة في قلب البحر لا تطالها المدافع الثابتة الموجودة في فم المضيق، وقد أدى ذلك الاشتباك إلى استشهاد وجرح عدد من عساكرنا ولكن لم يحدث أي ضرر للمدافع.

كانت سفن الكفار تملك مدافع بأقطار كبيرة تصل إلى 18 بوصة (450 ملم) و12 بوصة (300 ملم)، وتستطيع إطلاق القذائف من مسافات أبعد من مدافعنا الثابتة وبوتيرة رمي أسرع.

كرروا المحاولة يوم 25 شباط بتركيز أكثر في الضرب وقد اقتربت إحدى مدرعاتهم مسافة قريبة فيما بقيت سفن أخرى خارج مسافة قذائف مدافعنا، واستطاعت سفن الكفار بعد ساعات من الضرب تدمير عدد من المدافع، وإضعاف دفاعات المنطقة الأولى بشكل كبير، واستشهد وأصيب أكثر من 20 من عسكرنا، وفي المقابل أصيبت مدرعة (بارجة أو طراد مدرع) إنجليزية بأضرار.

تابعت سفن الكفار الضرب في اليوم التالي مقتربة أكثر ودخلت فم المضيق واشتبكت مع ما تبقى من مدافع المنطقة الأولى، ودفعت كاسحات الألغام إلى الأمام، وقد أصيبت بعض كاسحات الألغام بنيران مدافع المنطقة الثانية والتي كانت

قابلة للتحريك وأصغر حجما، ولكن كانت مدفعية المنطقة الأولى قد تم الإجهاز عليها بالكامل في نهاية اليوم.

في 1 آذار توغلت السفن في المنطقة الثانية لتمهد الطريق أمام الكاسحات للوصول للمنطقة الثالثة، وحدثت مناوشات بين سفن الكفار وبين المدافع القوسية (الهاوتزر) الموجودة على جانبي المضيق، ولكن لم تستطع تدمير أكثر من مدفعين حيث أن تلك المدافع كانت تستطيع التحرك وكانت مخفية بشكل جيد، كما كان يمكن استبدال ما يدمر أو يعطب منها بسهولة، ولم تستطع الكاسحات التوغل.

في 4 آذار أنزلت السفن عددا من بلوكات (سرايا) المشاة لتعمل كمجموعات تخريب تنسف ما تبقى من تحصينات المنطقة الأولى، وكانت تسندها مدافع السفن التي بقيت على اتصال مع بلوكات المشاة.

بدأت تلك الأخبار تثير القلق بيننا وبين الشعب في الأستانة وما يحيط بها، ثم صارت تصلنا أخبار اختلط فيها الواقع بالخيال أن عددا من الأهالي بدأ ينزح من الأستانة إلى أدرنة أو الأناضول، كما سرت شائعة بين ضباط الآلاي 19 الذي كنت فيه بأن فرقتنا السابعة سيتم سحبها للخلف إلى الأستانة للدفاع عنها، واضطر البكباشي (المقدم) صبري قائد الآلاي أن يجمعنا لكي ينفي تلك الشائعات وقال لنا أنه حتى الآن لا يوجد لديه أي أوامر ولم يسمع بأي نية لإرسالنا للدفاع عن الأستانة بل ربما يتم إرسالنا إلى جناق قلعة حيث مناطق الاشتباكات.

أدخل كلامه بعض الطمأنينة إلى نفوسنا ولكن خشينا أن يكون كلامه لمجرد التطمين لا أكثر.

عشنا حالة من الترقب وصرنا نكثر من الصلاة والدعاء، وفي السابع من آذار خرجنا في مأذونية لساعات إلى أحد مقاهي الضباط على طريق آق باش- كليبولو(جاليبولي)، ووجدت هناك البكباشي البحري شوكت بيك وقد كان بيننا معرفة سابقة، وقد وجدته متعبا لكنه لا زال يحتفظ بصلابة أعصاب، بعد بعض الكلام والسؤال عن الأحوال طلبته على انفراد وطلبت منه أن يصارحني كأخ كبير إن كنا سنقدر على إيقاف سفن الكفار ونحمي العاصمة، لم يزد على كلمة: كل ذلك بأمر الله ولا يستطيع أحد التنبؤ.

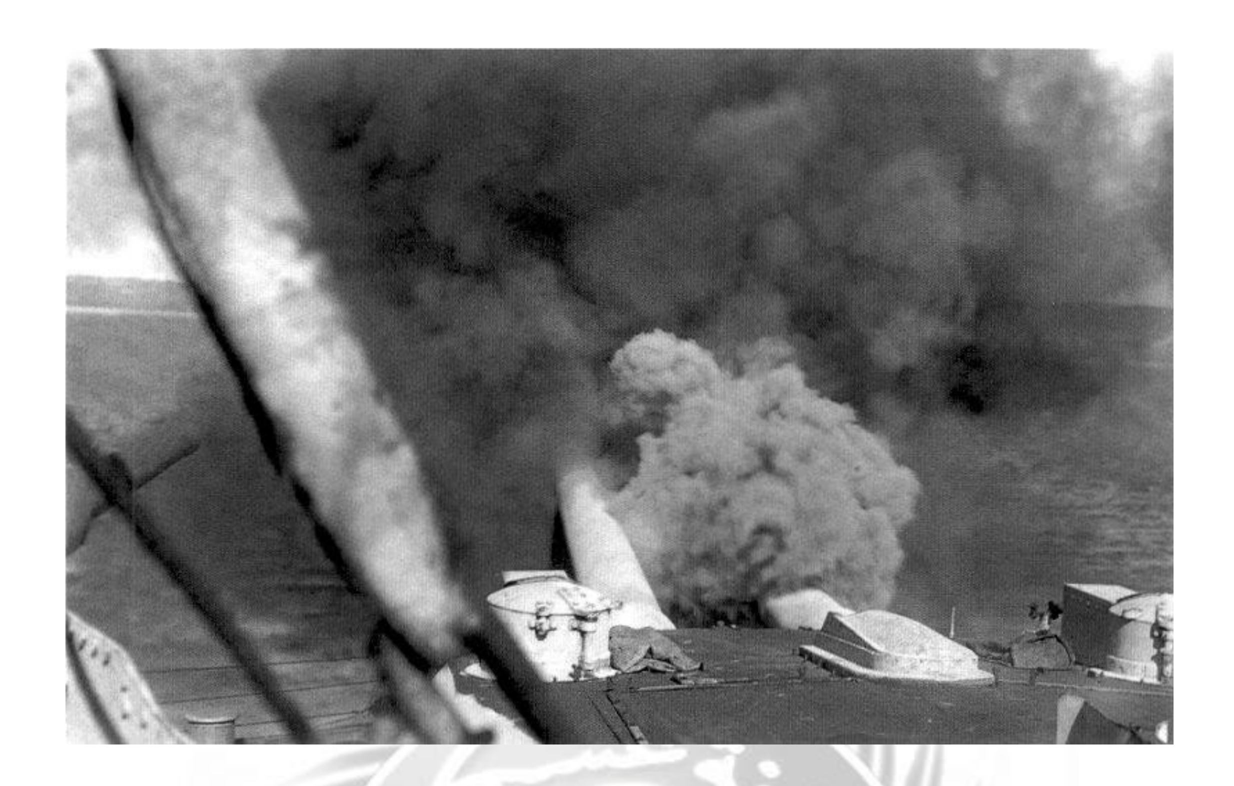
ألحيت عليه بالسؤال وقال: نسأل الله أن يمكننا منهم، قلت له: ونعم بالله لكن أرجوك صارحني، حسب مجريات المعركة هل سيصلون الأستانة، وما قصة جنودهم الذين ينزلون؟

تلفت حوله وسحب نفسا وقال: كل شيء بأمر الله طبعا ولكن مع ذلك أستطيع أن أطمئنك. الجزء الأساسي من المنطقة الدفاعية لم يدخل المعركة بعد ولا زال سليما والحمد لله، بالنسبة لجنودهم فلا تعطي الأمر أكبر من حجمه، هذه مجرد مجموعات صغيرة تنزل لتخريب المدافع ونشتبك معها وقبل 3 أيام قتلنا وأصبنا عددا منهم وفقدنا بعض الشهداء أيضا.

ثم أردف قائلا: طالما أنهم لم يستطيعوا حتى الآن تمهيد الطريق أمام الكاسحات فالأمور لا زالت بخير إن شاء الله، عموما لا أستطيع الكلام أكثر ولكن إنتظر القادم وسيكون خيرا بإذن الله.

سألت: يعني هل ستستطيعون إيقافهم إن شاء الله؟ فقال: إن شاء الله.

أدخل كلامه بعض السكينة إلى قلبي ولكن الترقب لا زال سيد الموقف.



كانت المناوشات بين سفن الكفار وبين مدافع المنطقة الثانية قد استمرت حتى 13 آذار دون نتائج حاسمة، أصيبت بعض سفنهم بنيران مدافع الكروب القوسية ذات القطر 5 بوصات (120 ملم) ولكن لم يكن تأثير مثل تلك القذائف كبيرا على المدرعات(البوارج)، أصيب عدد بسيط من المدافع القابلة للتحريك في دفاعات المنطقة الثانية ولكن كان ما يتلف منها يسهل إصلاحه أو تعويضه، فلم تتأثر دفاعات المنطقة الثانية كثيرا، وتعرض الكفار لإصابات في كاسحاتهم والتي كانت تنسحب في الغالب بعد فتح النار عليها وبدا أن مهمة الكاسحات في الوصول لألغام المنطقة الثالثة وإزالتها ستكون صعبة، ولكن أخطر ما في الأمر أن ضربات مدافع مدرعاتهم (بوارجهم) ألحقت ضررا بأسلاك الاتصالات الخاصة بتحصينات جناق قلعة.

وفي تلك الفترة استمر قارب زرع الألغام نصرت في زراعة الألغام بشكل كثيف في المنطقة الدفاعية الثالثة الضيقة، حيث تمت زراعتها على شكل خطوط متتالية في النقاط الضيقة من المضيق، كل خط فيه صف من الألغام بحيث تفصل مسافة معينة بين كل لغم وآخر.

تلقى الإنجليز والفرنساوية تعزيزات وجمعوا سفنهم لهجوم كبير، وأرادوا شن هجوم كبير لاختراق دفاعات المضيق وتدمير المنطقة الدفاعية الثالثة، ولم يعرفوا الكثير عن الألغام التي زرعت في مياه المنطقة الثالثة طيلة الفترة السابقة.

لقد امتلك الإنجليز سفينة كانت تحمل طائرات مائية للاستطلاع (في الحرب العالمية الأولى كان هناك حاملات الطائرات المائية وهي طائرات خفيفة قادرة على الطفو فوق الماء وذات أغراض استطلاعية غالبا كما كان هناك حاملات مناطيد)، ولكن طائرات استطلاعهم ركزت على استطلاع الألغام في المنطقة الدفاعية الثانية والتي كانوا يحاولون تنظيفها في الأيام السابقة، ولكن لم تكن المنطقة تحوي أكثر من بضعة ألغام متفرقة متباعدة ضمن مساحة واسعة، فشبكة الألغام الأساسية كان من المخطط زراعتها في المنطقة الثالثة.

في صباح يوم الخميس 18 آذار أبلغت طائرات استطلاعية ألمانية من الطائرات الموجودة في دولتنا، عن وجود أكثر من 80 سفينة حرب تتوجه لاختراق المضيق من بينها أكثر من 30 مدرعة(بارجة أو طراد مدرع)، وكان هناك أكثر من 10 غواصات ترافق الأسطول، كما كان هناك أكثر من 50 سفينة نقل تنتظر في الخلف، وكان هناك أكثر من 20 كاسحة ألغام للطوارئ، وتم تأكيد تلك المعلومة من قبل طائرة استطلاعية من طائراتنا أيضا.

كان جو ذلك اليوم هادئا والسماء صافية والبحر أشبه بالبحيرة والمياه أشبه بالزيت، تقدم أسطول الكفار وهو منظم في قلب وجناحين وساقة (مؤخرة)، وكانت السفن الموجودة في الساقة وعلى الجناحين قليلة بينما تواجدت أكثر السفن في القلب، وتم تقسيم القلب إلى 3 خطوط يحتوي كل خط مجموعة من المدرعات (البوارج أو الطرادات المدرعة) والسفن الأخرى (الفرقاطات أو المدمرات أو الطرادات غير المدرعة).

بدأت سفن الخط الأول من قلب أسطول الكفار بضرب قذائفها على مدافع الكروب القوسية (الهاوتزر) في المنطقة الثانية عند ظهر ذلك اليوم، ولم ترد مدافعنا التي كان قد أخفي أغلبها وتم تمويهه وبقي البعض في أماكن خفية يضرب بعض القذائف للتمويه ثم يسكت ويختفي.

بعد ذلك بدأت سفن الخط الأول من قلب الأسطول بضرب القذائف من مسافة بعيدة على المدافع الثابتة في المنطقة الدفاعية الثالثة، بقيت معظم مدافعنا صامتة باستثناء بعض المدافع التي ليس من بينها المدافع ذات الأقطار الأكبر (الأعيرة الأكبر)، والتي كانت تناوشهم ببعض القذائف ثم تصمت، بقي الأمر كذلك حتى منتصف الفترة بين الظهر والعصر حين تحرك الخطان الثاني والثالث من قلب الأسطول للانضمام للخط الأول، وتحرك معهم الجناحان والساقة.

وعند وصول الأسطول إلى أول مياه المنطقة الدفاعية الثالثة، اكتشف وجود الألغام متأخرا، ثم بدأت المدافع الثقيلة الثابتة في المنطقة الثالثة تطلق عليه نيرانها بشكل قوي، بينما عادت مدافع الكروب القوسية (الهاوتزر) ذات القطر 5 بوصات(120 ملم) الموجودة على جوانب مياه المنطقة الثانية لضرب قذائفها ضد الكاسحات أو ضد السفن غير المدرعة.

اصطدمت عدد من مدرعاتهم بالألغام ، وأصيبت أخرى بقذائف المدافع الثقيلة الثابتة، بدأت بعض المدرعات والسفن بالغرق، أما الكاسحات فقد نجحت في بداية المعركة في تفجير عدد من الألغام يعد على أصابع اليد أو اليدين ثم انسحبت لأنها لم تستطع العمل وسط ضرب القذائف المؤذي الذي يستهدفها.

ومع بداية حلول الظلام بدأ أسطول الكفار ينسحب وهو يجر أذيال الخيبة، فقد غرق له 6 مدرعات وتضررت 3 مدرعات أخرى على الأقل بينها سفينة القيادة، إضافة إلى غرق أو تضرر عدد من السفن الأخرى والغواصات، أما نحن فقد خسرنا في المواجهة 8 مدافع فقط، قتل وجرح منهم المئات فيما استشهد وجرح منا العشرات.

ووصلنا الخبر ليلا فصلينا شكرا لله، ثم أمضى الجنود باقي الليل في غناء ورقص، كما أقام صبري بيك قائد الآلاي حفلة للضباط أيضا وكانت حفلة فخمة استمرت حتى الصباح.

وزينت شوارع الأستانة وشهدت احتفالات كما لو أنها أيام عيد الفطر أو عيد الأضحى، وكثرت الصلاة والحضرات في مساجد العاصمة وخاصة مسجد السلطان محمد الفاتح.

أخذت مأذونية يوم الإثنين 22 آذار وذهبت إلى الشواطئ القريبة من مكان المعركة واستمعت إلى شرح ممن حضرها، وبينما كنت أراقب مياه البحر في ذلك اليوم وجدت إحدى الموائد الخشبية الطافية تسبح غير بعيدة، وكانت من الموائد التي تتواجد عادة بكثرة على سفن الإنجليز فقدرت أنها تعود لإحدى سفنهم الغارقة.

كسرت تلك المعركة كثيرا من هيبة الأسطول الإنجليزي في نفوسنا، ذلك الأسطول الذي كان الجميع يحسب له حسابا.

ولكن لم تكن هذه نهاية المعركة، ولم يتخلى العدو عن حلمه باحتلال العاصمة الأستانة، صحيح أن هجومه قد فشل بحرا، ولكن القادم كان أصعب، فالعدو بدأ يتحضر للقيام بإنزال على أحد الشواطئ القريبة من المضيق، حيث سيتوجه إما إلى الأستانة مباشرة رغم بعد الطريق، أو سيزحف حتى إلى شواطئ المضيق لكي يحتل تحصينات جناق قلعة، ويعطل مدافعها ويفتح الطريق بالتالي لأسطوله للوصول إلى العاصمة وهذا ما كان مرجحا.

بلغت استعدادات الكفار من الضخامة بحيث أن رجال الخفية (المخابرات) قد علموا بها وبدأت التحضيرات لصد ذلك الغزو، تلقى فيلقنا الثالث بقيادة أسعد باشا أمر التحرك إلى كليبولو (جاليبولي) ووصلت فرقتنا السابعة إلى شمال كليبولو بين ييني كوي وبولاير في 23 نيسان 1915 ، وكانت الفرقة 19 بقيادة مصطفى كمال بيك قد تم إلحاقها بفيلقنا عوضا عن الفرقة الثامنة والتي كانت لا تزال في الشام مع الجيش الرابع.

الحرب الأرضية في جناق قلعة ... انتصار مجيد وأشهر لا تنسى من البطولات

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ"

تم إرسال الفرقة التاسعة خليل سامي بيك للانتشار على الشواطئ الجنوبية والجنوبية الغربية لجزيرة كليبولو (شبه جزيرة جاليبولي)، للتصدي لأي إنزال محتمل ، بينما بقيت الفرقة التاسعة عشر بقيادة مصطفى كمال بيك قرب ميدوز (ميدوس) على الشاطئ الشرقي لجزيرة كليبولو, وذلك لكي تكون جاهزة لشد أزر الفرقة التاسعة إذا تعرض أحد قطاعاتها لضغط، أما فرقتنا السابعة فقد بقيت مرابطة بين بولاير وييني كوي لحماية مقر قيادة فيلقنا الثالث ومستودعات ذخيرته، كما كان عليها التحرك جنوبا إن اقتضى الأمر، أيضا إلى الشمال كانت الفرقة الخامسة قد وصلت استعدادا للمشاركة في صد الإنجليز والفرنساوية.

كان فيلقنا الثالث ومنطقة جناق قلعة المحصنة قد تم اقتطاعهما أواخر نيسان من الجيش الأول، كما تم اقتطاع قوات الفيلق الخامس عشر المرابط على البر الأناضولي للشواطئ القريبة من جناق قلعة، وتم تشكيل جيش جديد من تلك القوات سمي بالجيش الخامس الذي أوكلت إليه مهمة حماية مضيق جناق قلعة، وتم تعيين قائد ألماني هو الفريق ليمان باشا (ليمان فون ساندرز) قائدا له.

كانت حماستنا مرتفعة أواخر نيسان منذ صد الهجوم البحري في آذار، لكن وصلنا خبران في نيسان المذكور كانا نذير شؤم، الخبر الأول كان تمرد الأرمن شرق

الأناضول، صحيح أن الأرمن شاركوا القتال مع جيش الروس منذ البداية، ولكن كان ذلك يقتصر على الأرمن الذين يقيمون على أراضي مملكة الروس ويشكلون جزء من عسكرهم، أما الأرمن الذين كانوا يقيمون على أراضي الدولة العلية فلم يصدر منهم في البداية أكثر من وجود عيون كثر للروس بينهم، لكن اما في نيسان 1915 فقد صار الأمر أخطر، لقد تشكلت منهم طوابير(كتائب) من الفدائيين (منظمات الفدائيين الأرمن وقد كانت قد تشكلت في ثمانينات القرن التاسع عشر وعرفت باسم الفدائيين باللفظة العربية وتشكلت من مجموعات خنجاق وطاشناق وأرمنكان، وقد توسعت بشكل كبير في الحرب العالمية الأولى)، وكان يقودهم أحد متعصبيهم ويسمى أندرانيك باشا (أندرانيك أوزانيان وهو أرمني ولد شمال شرق الأناضول في ستينات القرن 19 وانتسب للفدائيين الأرمن وقاد وحدات منهم قاتلت إلى جانب الجيش البلغاري ضد العثمانيين في حرب البلقان الأولى ثم صار أكبر قادة الفدائيين الأرمن في الحرب العالمية الأولى)، وصارت تلك الطوابير تساعد الروس، وكان أكثر نشاطها في ولاية بدليس (بتليس) وما حولها، ومما فعلوه في ذلك الشهر هو انتفاضتهم في مدينة وان (فان) والتحصن بها بانتظار نجدة عسكر الروس، أما أكبر ما فعلوه فهو تحرك طابور منهم قام باعتراض قوة خليل باشا والتي كانت تقوم بحملة في بلاد فارس، حيث قام ذلك الطابور بمناوشة وتأخير عسكر الخلافة في سالماس (مدينة تقع شمال غرب إيران) إلى أن وصل عسكر الروس إلى هناك وأوقف زحف جيش الخلافة، أدت تلك المعركة التي ساعد الأرمن فيها الروس إلى إنهاء أكثر من 3 أشهر من الزحف المظفر كان خليل باشا قد بدأه ضمن أراضي بلاد فارس (كان بلاد فارس إحدى جبهات الحرب العالمية الأولى رغم حياد إيران حيث هدفت الدولة العثمانية إلى نصرة حلفاء دول المحور هناك ضد الروس والإنجليز وحلفائهم وذلك تمهيدا لاستخدام إيران لاحقا للزحف على الهند البريطانية)، وإضافة لتلك الطوابير فقد تشكلت منهم مجموعات أصغر بدأت تثير القلاقل في شرق الأناضول.

أما الخبر الثاني فكان فشل محاولة لتحرير البصرة من الإنجليز قام بها سليمان بيك العسكري على رأس قوة من عسكر الخلافة تساندهم مجموعة من العونية (القوات غير النظامية) تشكلت من بعض عشائر جنوب العراق.

تلقينا تلك الأخبار بأسى، ولكن كان علينا التسامي على تلك الجروح، فأمامنا مهمة صعبة، فالإنجليز والفرنساوية يتحضرون للنزول قرب مضيق جناق قلعة (مضيق الدردنيل).

قام الكفار بهجومهم الذي ارتقبناه في أول ساعات ضوء يوم الأحد 25 نيسان 1915، قام عسكرهم بالهجوم من البحر إلى الشاطئ في 8 مواضع، 5 منها كانت على شواطئ الجزيرة الجنوبية (السواحل الجنوبية لجاليبولي) على الجبهة التي سميناها سد البحر (تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles)، كما نزلت قوة كبيرة منهم عند الموضع الذي سميناه رأس النحل (في المراجع الأجنبية يسمى خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) قبالة بحر إيجة، أما عسكر الفرنساوية فقد نزلوا عند الضحى على البر الأناضولي (الشاطئ الآسيوي) في منطقة خالية عند كوم قلعة (Kum Kale)، إضافة إلى قوة صغيرة تظاهرت بمحاولة النزول على شواطئ خليج ساروس شمالا قبالة بحر إيجة في قطاع فرقتنا، حيث قامت سفنهم بضرب مواقعنا بالمدافع طيلة اليوم ثم تحرك بعض جنودهم وهم يحملون المشاعل إلى الشاطئ وتعرضوا لإطلاق النار ثم عادوا من حيث أتوا فظهر لنا أنها كانت محاولة نزول خادعة لتثبيت فرقتنا عن أماكن النزول الحقيقية.

على جبهة سد البحر كان في مواجهة الإنجليز بعض الطوابير (الكتائب) والبلوكات (السرايا) المتناثرة والتي تتبع الفرقة التاسعة وقد قاومت النزول بإطلاق الرشاشات من الربايا المطلة على الشواطئ، وفي بعض الأحيان انتقل عسكرنا إلى الهجمات المرتدة بعد إرسال تعزيزات من خليل قبل خليل سامي بيك قائد الفرقة.

في إحدى الخمسة نقاط على جبهة سد البحر والتي تشكل الجناح الغربي لهم وهي أقرب النقاط إلى نقطة رأس النحل وصلوا إلى بعد مئات الياردات عن قرية كيرتي (Krithia) المهمة ولكنهم تعرضوا لهجمات مرتدة ردتهم على أعقابهم رغم أن مدافع السفن عاونت الكفار، وبحلول اليوم التالي كان الكفار قد أخلوا نقطة النزول تلك وتم تعزيز القوات المدافعة.

لم يكن وضع الإنجليز أسهل في النقاط الأربعة الأخرى، مثلا في نقطة أخرى تقع قرب قلعة سد البحر تعرض أحد طوابير الكفار لمقاومة قوية لم تبقي من الجنود الذين نزلوا إلا أقل من 30 قبل أن يتم تعزيزهم، في نقطتين من النقاط الأربعة الأخرى كانت هسائر الكفار باهظة ووصلت إلى أكثر من ألفين من القتلى والجرحى، وقامت قوة تقدر بفصيلتين بهجوم على أحد الروابي التي وصلوا إليها في إحدى نقاط الهجوم، وانغمست فيهم موقعة بهم مئات القتلى والجرحى وبرز من أبطال تلك القوة الأونباشي (العريف) يحيى والذي صار مثالا للشجاعة وحديثنا المستمر.

ومع ذلك استمرت قواتهم بالنزول وتعزيز النقاط الأربعة الأخرى في اليوم التالي وتمكنوا بعد قتال ضار من الاستيلاء على سد البحر.

أما على جبهة كوم قلعة على البر الأناضولي، فقد تعرض عسكر الفرنساوية لهجوم مرتد في اليوم التالي للنزول حرر قسما من كوم قلعة وغنم عسكرنا رشاشين.

أصعب المواقف وأكثرها شجاعة كان في القتال عند نقطة الإنزال في رأس النحل، حيث نزل عسكر الإنجليز وكان في مواجهتهم طابور من الآلاي(الفوج) 27 من الفرقة التاسعة، وبعد معارك شرسة استطاعوا النزول وأرادوا إكمال زحفهم متسلقين

المرتفعات العالية حيث كان الشاطئ في منطقة رأس النحل ضيقا تطل عليه منحدرات حادة.

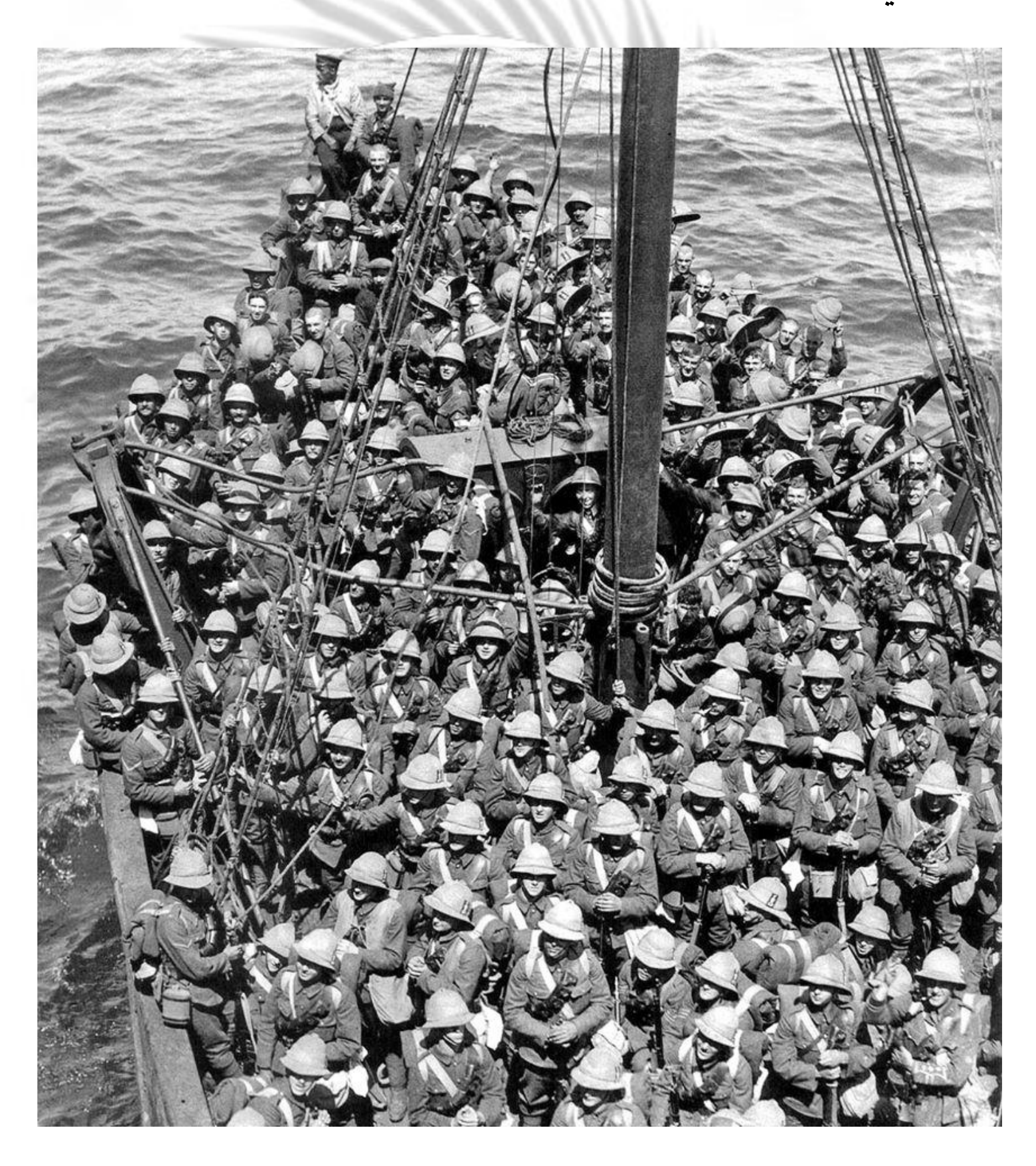
وصل قائد الفرقة 19 مصطفى كمال بيك على رأس الآلاي 57 الذي يقوده حسين عوني بيك، وتسلق الآلاي 57 قمة جناق باير وأصدر لهم مصطفى كمال بيك أمره بالمقاومة حتى الموت قائلا لهم: بينما تموتون ستصل قوات أخرى لتحل مكانكم نفذ حسين عوني بيك الأمر مع قادة طوابيره أحمد زكي وعطا وخيري، وانبطحوا شاهرين حرابهم، حين رآهم عسكر الإنجليز انبطحوا أيضا منتظرين مرتقبين الموف ومنتظرين تعزيزاتهم، فثبت الموقف إلى أن وصلت باقي آلايات الفرقة 19 بعد الظهر وهي الآلاي 72 بقيادة محمد منير بيك والآلاي 77 بقيادة صائب بيك، وعند العصر انطلقت الفرقة 19 في هجمات مرتدة، استمرت الهجمات المرتدة حتى الليل، وخسر الطرفان فيهما الآلاف من القتلى والجرحى، ووقع من الكفار 4 جنود أسرى، وتبادل العسكران السيطرة على المواقع في ذلك اليوم إلى أن تم دفع عسكر الإنجليز عدة مئات من الياردات، وتوقفت المعارك هناك قبيل منتصف الليل وقد استنفذ الطرفان طاقتهما وصارا ينتظران المدد.

أذكر هنا أن تلك المعركة هي التي صنعت من مصطفى كمال بطلا وساعدته لاحقا في الترقي، وأنا كنت من المعجبين ببسالته في البداية قبل أن نعلم لاحقا أنه كان يقاتل حمية وليس لأجل دين، فكان مثله كمثل قزمان بن الحارث المنافق الذي قاتل حمية في معركة أحد، كما أذكر أيضا أن أغلبية جنود الآلاي 72 والآلاي 77 كانوا من العرب من شمال بلاد الشام من حلب وإدلب خاصة.

وأهم ما أذكره أن جبهة رأس النحل كانت أصعب الجبهات، فقد كان جنود الكفار فيها مقاتلون شديدي المراس وقناصة بالفطرة، علمت لاحقا بعد أيام من بداية حرب

جناق قلعة أن عسكر الإنجليز في تلك الجبهة كانوا من الأستراليين والنيوزيلنديين وهم قوم إنجليز من حيث اللسان والأرومة (العرق) ولدوا وعاشوا في بلاد بعيدة من البلاد التي احتلتها إنجلترا، كانوا حسب ما قرأت عنهم لاحقا وسمعت جنودا خشنين وهم في الأصل حفارين أشداء، ولم أجد أبرع منهم في الرماية حسب ما شاهدت ذلك بنفسي لاحقا.

حتى لحظات القتال تلك التي أتحدث عنها لم تكن فرقتنا السابعة قد انخرطت في قتال فعلي.



بحلول يوم الثلاثاء 27 نيسان 1915 بدأ جيش الفرنساوية بسحب عسكره من كوم قلعة على البر الأناضولي (الآسيوي) للمضيق، حيث قام بنقلهم إلى البر الرومي (الأوروبي) على جبهة سد البحر، فاتضح أن الإنزال على البر الأناضولي كان لتثبيت قوات الفيلق الخامس عشر والذي يضم الفرقتين الثالثة والحادية عشر ومنعنا من نقلهما إلى البر الرومي حيث كان الهجوم الأساسي.

أما على جبهة رأس النحل (في المراجع الأجنبية يسمى خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) فقد جمع مصطفى كمال بيك عسكر الآلاي (فوج) 27 والذي كان تابعا للفرقة التاسعة والآلاي 72 والآلاي 77 التابعين للفرقة 19، وقام بمهاجمة عسكر الإنجليز المكون من الأستراليين والنيوزيلنديين، وتمكن من إبعادهم إلى الشاطئ عند حلول الظلام، وكان الآلاي 33 من الفرقة 11 قد تم نقله إلى جبهة رأس النحل بعد زوال خطر الفرنساوية على البر الأناضولي، ووصل الآلاي ليلا لشد أزر قوات مصطفى كمال بيك والذي جمع كامل الآلايات الموجودة تحت يده ومن بينها الآلاي 57 وقام بهجوم ليلي لرمي الأستراليين والنيوزيلنديين في البحر، إلا أن الهجوم فشل، وبدأ الطرفان بحفر الخنادق واستقبال التعزيزات التي بدأ إرسالها تباعا إلى كل طرف.

أما على جبهة سد البحر (تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles) حيث كان جل عسكر الكفار هناك، فقد أمن الإنجليز الشواطئ التي نزلوا فيها ووصلهم عسكر الفرنساوية لشد آزرهم، وواصلوا اندفاعهم إلى الأمام، فقام خليل سامي بيك قائد الفرقة التاسعة بسحب عسكره المكون من الآلاي 25 والآلاي 26 لإنشاء خط دفاع في الشمال.

بعد أن انقضاء محاولة النزول الكاذبة التي قامت بها قوة من عسكر العدو قبالة خليج ساروس، إضافة لعدم وجود محاولات أخرى في اليومين التاليين، اتضح لنا أن

القطاع الذي ترابط فيه فرقتنا لم يكن مهددا وأن ثقل هجوم العدو كان على جبهتي سد البحر ورأس النحل.

عندها تلقت الفرقة السابعة الأوامر بإرسال الآلاي 19 الذي كنت ضمنه والآلاي 20 ووضعهما تحت إمرة خليل سامي بيك لمعاونته في الدفاع، إضافة لطابور (كتيبة) درك بورصة بقيادة تحسين بيك والذي تم إقحامه في القتال أيضا للمشاركة في الدفاع، حيث كان الكفار يريدون احتلال قرية كيرتي (Krithia) ثم عشي بابا فيمسكون بذلك بالمفتاح الرئيسي لجنوب جزيرة (شبه جزيرة) كليبولو (جاليبولي).

بدأنا التحرك للأمام وكان من المخطط أن نصل صباح يوم 28 نيسان، ليشكل الآلاي 20 بقيادة خالد بيك الجناح الأيمن للدفاع بمقابلة عسكر الإنجليز، بينما كان على آلاينا (فوجنا) بمعاونة طابور درك بورصة أن يشكل الجناح الأيسر بمقابلة عسكر الفرنساوية الذي كان قد نقل إلى البر الرومي كما ذكرت، بينما يبقى الآلاي 25 والآلاي 26 في الوسط وشكلوا قوة احتياط الجبهة نتيجة إنهاكهم من معارك الأيام الثلاثة الماضية والخسائر التي لحقت بهم، وكان على آلاي المدفعية الخاص بالفرقة التاسعة أن يدعمنا إضافة لبعض المدافع القوسية (الهاوتزر) ذات القطر 5 بوصات (120 ملم) والتي كانت على شاطئ المضيق.

كان الآلاي 20 قد استطاع الوصول للمنطقة المخصصة له، أما الآلاي 19 الذي كنت ضمنه فقد تعرض أثناء الحركة لرمايات قوية من سفن الأعداء حيث كان اتجاه تحركنا واضحا لهم، وقد لحقت بالآلاي العديد من الإصابات، واستشهد من البلوك (السرية) الذي أقوده 6 جنود وأصيب 5 آخرون قبل أن نشارك في أي قتال، مما اضطرنا للتراجع وتعديل خط السير، قمنا بمسار متعرج بعيد عن الشاطئ وفي أرض مرهقة في المسير وكنا في سباق مع قوات العدو والتي كانت قد بدأت هجومها ضحى ذلك اليوم بعد ضربات قوية بمدافع السفن.

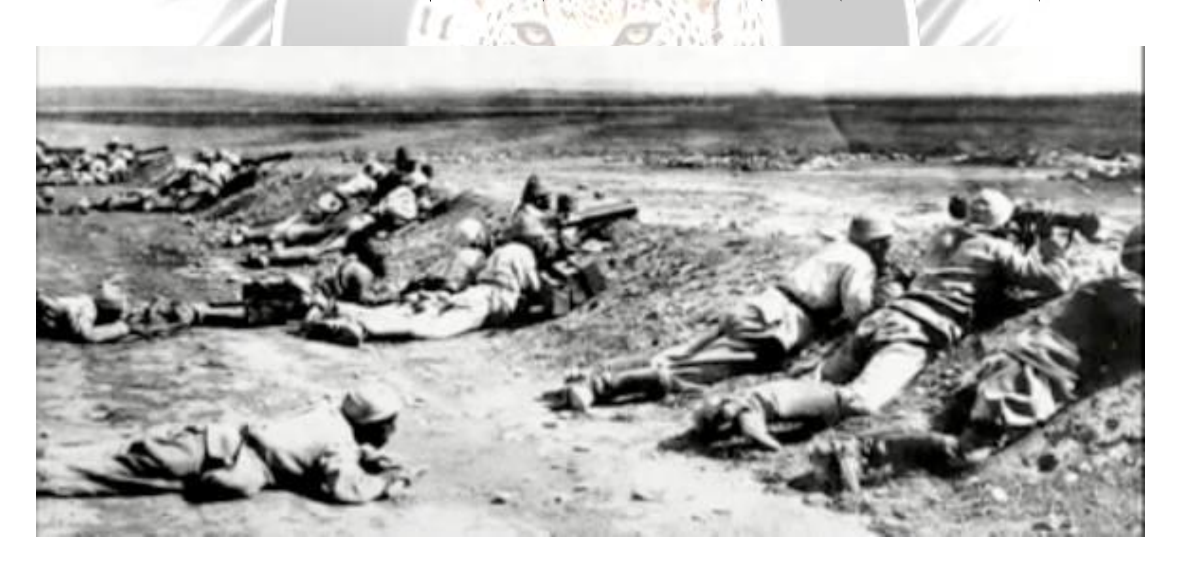
تعثر هجومهم على الجناح الأيمن (الغربي) بعد أن أوقفهم الآلاي 20 بنيران رشاشاته، ولكنهم استطاعوا الإندفاع في الجناح الأيسر (الشرقي)، ولم يكن في مواجهتهم إلا طابور (كتيبة) درك بورصة الذي قام بإبطائهم إلى أن قام طابور من الآلاي 26 يقوده القول آغاسي (رائد) محمود صبري بالتقدم لشد آزره رغم إنهاكه في المعارك السابقة، شن الآلاي 20 هجوما مرتدا استطاع فيه إرجاع الإنجليز إلى حيث أتوا، ولكن ضغط الفرنساوية على جناحنا الأيسر استمر ولو أنهم استطاعوا الاختراق لاضطر الآلايات الباقية إلى الانسحاب أيضا خوفا من تطويقها.

وصل الآلاي 19 أخيرا عند العصر وكانت تلك ستكون أول معركة لي في الحرب الكونية، رغم الإرهاق والتعب من المسير انطلقنا فورا في الهجوم وتفاجأ الفرنساوية بنا فبدأوا بالتراجع وخرقنا صفوفهم، فزجوا إلى الأمام بطابورين من الجنود الزنج (الجنود الأفارقة الذين يخدمون في قوات المستعمرات وقد غلبت عليهم تسمية السنغاليين لأن أول فوج تشكل منهم كان سنغاليا)، الذين التحموا معنا في قتال قريب حدث جزء منه بحراب البنادق.

ولولا القتال اليائس للجنود الزنج لكان خط الكفار في الجناح المقابل لنا قد تم اختراقه ووصلنا لمؤخرتهم ولربما اضطروا للانسحاب حتى الشاطئ، وبنهاية اليوم كان هجومهم على كيرتي قد تم صده واستطعنا كسر إندفاعهم.

سقط الآلاف من الطرفين في قتال ذلك اليوم، استشهد من البلوك الذي أقوده 9 جنود وجرح 5 آخرون وهذا غير من سقط منهم أثناء مسيرنا بقذائف مدافع السفن، قتلت بطبنجتي (مسدسي) الأمريكية الجديدة (Browning M1903) ضابطا فرنسيا حسب ما ظهر من هيئته، وأصبت أيضا أحد الجنود الزنج.

أذكر هنا أن الجنود الزنج الذين يحاربون مع الفرنسيين امتازوا بالإنضباط الشديد والطاعة العمياء لضباطهم وربما يعود هذا لاعتيادهم إطاعة من يسودهم ويحكمهم وخاصة من الأمم التي يرونها أرقى منهم، كان تدريبهم حسنا وإن كان أقل من تدريب الجند الفرنسي العامل (المحترف) ولكنه يفوق تدريب جند الخدمة الواجبة (الخدمة الإلزامية) الفرنسي، كانوا يفتقرون للمهارة في العمل على المدافع والرشاشات ولكنهم جيدون في القتال بالبنادق وكانوا أفضل في القتال بالحراب، لطالما انتشرت بيننا قصص عن كونهم معتادون على قتال الأسود بالحراب في بلادهم، والعديد منها قصص يختلط فيها الواقع بالخيال، لكن أكثر ما يميزهم هو أنهم يندفعون للقتل أكثر من اندفاعهم للقتال وهذا يرجع لبيئتهم المتوحشة وطبائع أهلها، هم نافعون كثيرا في الهجوم ومندفعون، ويقاتلون في الدفاع قتال اليائس، ولكن الذعر يصيبهم ويفقد ضباطهم السيطرة عليهم لو تم اختراق صفوفهم وكسرهم.



بعد دحر هجوم الكفار على كيرتي، بدأوا في حفر الخنادق والتحصن على جبهة سد البحر (تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles)، كما وصل الآلاي 21 بقيادة القائم مقام (عقيد) خليل بيك وهو ثالث آلايات فرقتنا السابعة

لتعزيزنا، كما كانت آلايات أخرى من الفرق 5 و16 تصل لتنضم للجيش الخامس المكلف بمعركة جناق قلعة، وكانت في طريقها إلى جبهة رأس النحل (في المراجع الأجنبية يسمى خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) لتعزيز قوات مصطفى كمال بيك، بينما كانت الفرقة 15 في الطريق إلينا.

وقد شكل قائد الجيش الخامس الضابط الألماني ليمان باشا (ليمان فون ساندرز) قيادة لجبهة سد البحر، ووضع على رأس تلك القيادة ضابطا ألمانيا هو سوندسترن، وكان له 3 ضباط أركان حرب لم يكن بينهم ضابط عثماني سوى البكباشي (المقدم) محمد نهاد بيك وهو تركي من بورصة.

كثيرا ما كانت مثل تلك المواقف تزعجنا أثناء الحرب الكونية، صحيح أننا تعلمنا كثيرا من الضباط الألمان، وندين للعسكرية الألمانية دينا لا ننكره فهي مدرسة يندر مثلها في الحروب، ولكن كنا نرى في مثل تلك المواقف قلة ثقة بكفاءة ضباطنا، وعدا عن ذلك فقد كان الضباط الألمان الفخورون لا يفهمون عقلنا وتفكيرنا ولا ظروف جبهتنا وعسكرنا، ربما كان ليمان باشا وبعض ضباطهم الكبار المحترفين الذين عملوا كمستشارين لجيش الخلافة ليسوا من ذلك الصنف، ولكن أغلبيتهم كانوا في أكثر الأحيان يريدون نسخ خطط وأساليب جيشهم في معاركنا رغم اختلاف الحالتين، صحيح أن جيشنا في الحرب الكونية بني في كثير من ملامحه على النمط الألماني، ولكن كان هناك فروق في السلاح وحتى في التدريب، رغم أن فرق الجيش الأول التي كنا منها كانت ذات تدريب جيد ولكنها لم تكن تملك تلك الخبرة المكدسة لدى عسكر النخبة الألماني والذي شكل منه الألمان خلال الحرب الكونية ما سمي بطوابير (كتائب) العاصفة والتي كانت عمادهم في الهجمات.

أول مهمة اضطلع بها سوندسترن كانت قيادتنا في هجوم شامل على جبهة سد البحر لدحر الإنجليز والفرنساوية.

كان مصطفى كمال بيك قد شن يوم 1 آيار 1915 هجوما على جبهة رأس النحل لطرد عسكر الأستراليين والنيوزيلنديين الذين كانوا قد حفروا خنادقهم واستعدوا لصد الهجوم واستكملوا قواتهم التي نزلت للشاطئ، على الرغم من أن قوات مصطفى كمال بيك استطاعت الوصول في بعض المواضع لمسافة أقل من 250 ياردة من خنادق الكفار، ولكنها لم تستطع الوصول إليهم واختراق خنادقهم، كرر المحاولة ليلا وفشل الهجوم أيضا ولحقت بعسكرنا إصابات كثيرة، بعد ذلك الهجوم الفاشل بدأ عسكرنا بحفر الخنادق مقابل الأستراليين والنيوزيلنديين والتحصن للدفاع أيضا.

بينما كان هجوم مصطفى كمال بيك يهاجم في ذلك اليوم أصدر لنا سوندسترن أمره عند العصر بالتجهز للهجوم على كامل جبهة سد البحر ليلا لكي نتجنب بذلك رمايات مدافع السفن، أتانا الأمر بشكل مفاجئ ولم يكن لدينا إلا ساعات للتحضر للهجوم.

صلينا العشاء وقمنا بالاستعداد للهجوم، هاجمنا قبيل منتصف الليل بحوالي الساعة أو الساعتين، على جناحنا الأيمن (الغربي) هاجم الآلاي 20 من فرقتنا السابعة بالإشتراك مع الآلاي 25 والآلاي 26 من الفرقة التاسعة ضد عسكر الإنجليز، بينما هاجمت باقي آلايات فرقتنا وهي الآلاي 21 والآلاي 19 الذي كنت ضمنه والذي تم إلحاق طابور (كتيبة) درك بورصة به على جناحنا الأيسر (الشرقي) ضد عسكر الفرنساوية.

قبل الحديث عن المعركة أذكر هنا أن عسكر الأعداء وقتها كان يملك من الرشاشات أكثر مما نملك، فقد كانت جيوش القوى الكبرى على جبهات غرب أوروبا، ومن بينهم لإنجليز والفرنساوية قد اهتموا كثيرا بالرشاشات التي شكلت أساس الدفاع في حرب الخنادق، وبينما كنا نملك بلوك(سرية) رشاشات في كل آلاي (فوج)، فقد

كان الإنجليز والفرنساوية والألمان يملكون بلوك رشاشات في كل طابور (كتيبة)، أي أنهم يملكون 3 أمثالنا غالبا.

تحركنا إلى الأمام مسترشدين ببعض الأضواء التي تنبعث من خنادقهم، وقد حافظنا على مسار مستقيم في البداية حتى تختلط بلوكاتنا (سرايانا) ببعضها البعض، تعثر الهجوم على خطوط عسكر الإنجليز حين فتحوا رشاشاتهم من داخل الخنادق بنيران منظمة وموزعة جيدا فأوقفت اندفاع عسكرنا وبقي على مسافة بينه وبين الخنادق دون أن يستطيع التقدم إليها بعد الإصابات الكبيرة التي لحقت به.

أما على جبهتنا مقابل خطوط عسكر الفرنساوية، فكنا قد انبطحنا أرضا حين وصلنا لمسافة من خنادقهم، وتابعنا التقدم منبطحين وبمسارات ملتوية يمينا وشمالا بكيفية كنا قد تدربنا عليها من الألمان، استمر الفرنساوية في فتح نيران بنادقهم ورشاشاتهم التي كان الكثير منها يمر فوق رؤوسنا غالبا، وعدد منها أصاب جنودنا في الرأس وهم يسيرون منبطحين، ولكن ذلك لم يوقف تقدمنا باتجاه خنادقهم، وقد استرشدنا بنيران البنادق المنبعثة من خنادقهم لكي نعرف اتجاهها.

كنا قد حصلنا في بدايات الحرب على سلاح جديد من الألمان، وهو قنبلة لها قبضة تشبه العصا، ونحملها باليد ونرميها على العدو فتنفجر بعد لحظات، وقد أطلقنا عليها تسمية البمباشي، وسميت لاحقا بلسان العرب القنبلة اليدوية، وبسبب شكلها كان الألمان يسمونها مدقة البطاطا بينما سماها بعضنا مدقة الثوم.

ما إن وصلنا قرب خنادقهم حتى بدأنا بإلقاء تلك القنابل عليهم داخل الخنادق، وكان نظام التقدم أن يقترب صف من بضعة جنود من أحد مواضع الخندق ثم يقومون برمي تلك القنابل وبعد انفجارها يقتربون من نفس الموضع ثم يصوبون

البنادق داخل الخندق ويطلقون بضعة طلقات للتأكد من تطهير الموضع، ثم يقتحمون الخندق في ذلك الموضع.

دخلنا خنادق الفرنساوية وحدث قتال بالحراب والأيدي داخل تلك الخنادق، وقد دخلت مع البلوك الذي أقوده أحد تلك الخنادق والذي انسحب منه من تبقى من الفرنساوية للخندق الذي يليه وتابعوا الدفاع.

أما عن المواضع التي كان فيها الجنود الزنج (الجنود الأفارقة الذين يخدمون في قوات المستعمرات وقد غلبت عليهم تسمية السنغاليين لأن أول فوج تشكل منهم كان سنغاليا) الذين قاتلوا مع العسكر الفرنساوي فقد هربوا من الخنادق بمجرد أن جنودنا صاروا قرب خنادقهم وألقوا فيها بعض القنابل، وأصيبوا بالذعر ولم يحاولوا حتى الدخول إلى خط الخنادق التالي والدفاع ضمنه بل استمروا في الهرب، فحل محلهم بعض العسكر الذي عرف بعض ضباطنا من سماع حديثهم أنهم إنجليز وليسوا فرنساويين، واستطاعوا الثبات في وسد الثغر الذي تركوه.

كما قام عدد آخر من ذلك العسكر الإنجليزي الذي وصل مددا بالانتشار على جوانب عسكرنا الذي تقدم في قلب خطوط الفرنساوية، وبدأ بإطلاق النار من الرشاشات علينا من جانبنا، فلم نستطع التقدم، نتيجة الظلام لم نعرف عدد العسكر الإنجليزي الذي وصل لشد آزرهم كما اختلط جنود العسكر بعضهم ببعض فأتانا أمر الانسحاب والعودة من حيث أتينا، فانتهى هجومنا بالفشل والكثير من الإصابات من بينهم جنود في البلوك (السرية) الذي أقوده، كانت إصابات العدو كبيرة أيضا ولا سيما بين عسكر الفرنساوية ولكن إصاباتنا كانت أكثر لأننا كنا الطرف المهاجم ضد مدافع متحصن في خنادق.

بينما كنت أتجاوز خندق الفرنساوية الأول، أصبت برصاصة حفت فخذي الأيمن بشكل جانبي دون أن تستقر داخله، سقطت أرضا وأراد جنود البلوك إعادتي للخلف ولكني أصررت على المتابعة رغم الجرح إلى أن أحضروا مسعفا من البلوك الطبي (الوحدة الطبية) الذي يخص فرقتنا السابعة، قام بكي الجرح لتنظيفه وإيقاف نزفه ثم ربط فوقه وتابعت الزحف مع الجند بنية الوصول للخندق التالي ولكننا لم نستطع بعد اختلاط الحال وقدوم عسكر الإنجليز نجدة، ولما أتانا أمر الانسحاب انسحبت بعض المسافة زحفا مع الجنود، ولما ابتعدنا عن خنادق الأعداء وقام الجنود لمتابعة الانسحاب مشيا اتكأت على أحد جنود البلوك والذي ساعدني على السير (في الحرب العالمية الأولى وخاصة في الجبهات الصعبة كثيرا ما كان يتم علاج الجروح الخفيفة في ساحة المعركة أو نقطة قريبة ثم يعود الجندي للقتال في نفس اليوم وأحيانا يعود للقتال أثناء المعركة وحصل مثل هذا في الحرب العالمية الثانية أيضا كما حصل حتى في حروب لاحقة).

بعد العودة وحين قمنا بالنظر لأحداث المعركة وسؤال الضباط المشاركين عرفنا أن عسكر الإنجليز اطمأن لوضعه بعد أن ثبت أمام عسكر جناحنا الأيمن واستطاع إيقافهم بالرشاشات قبل وصولهم للخنادق، فقام بإرسال مدد للعسكر الفرنساوية مما أبد الخطر عن جبهتهم.

أذكر أن المشاة الإنجليز لطالما امتازوا بالصلابة الشديدة بالدفاع وهذا معروف عنهم منذ أيام معركة واترلو مع نابليون حين صدو فرسان الفرنساوية، وقد أظهروا مثل تلك الصلابة في حروب لاحقة منها الحرب الكونية التي خضناها، فإن كان الألمان ملوكا في الهجوم وخططه فمشاة الإنجليز ملوك في الدفاع الصلب العنيد.

أما عن الجنود الزنج فقد أظهرت تلك المعركة عدم صلاحيتهم للدفاع داخل الخنادق، وعدم ألفتهم مع هذا النوع من القتال، هم ينفعون في التقدم لمهاجمة

عدوهم، كما ينفعون أيضا بالدفاع متحركين دفاعا يائسا، لكن حرب الخنادق لم تكن حربهم أبدا، وهذا ما جعل الفرنساوية لاحقا لا يعتمدون عليهم إلا في القتال المتحرك، كما أن تلك المعركة أبرزت عيبهم الذي تكلمت عنه والذي لطالما أظهروه في كثير من ميادين الحرب الكونية، وهو أنهم يصابون بالذعر ويتراجعون بتقهقر شديد بعد اختراق صفوفهم وانكسارهم.



رغم فشل الهجوم الأول أصر سوندسترن الذي عين لقيادة جبهة سد البحر (تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles) على أن يجرب هجوما ليليا جديدا، وفي تلك الأيام كانت التعزيزات في طريقها إلى الإنجليز والفرنساوية، كما كانت في طريقها إلينا أيضا، وذلك لمواجهة تعزيزات الأعداء، ولزيادة جييشا الخامس المشكل حديثا والذي أوكلت إليه مهمة الحرب في جناق قلعة.

انتظر سوندسترن وصول تعزيزات جديدة، وما إن حل يوم 3 آيار ووصلت الفرقة 15 من منطقة الأستانة لتعزيز فرقتنا السابعة والفرقة التاسعة، حتى أصدر سوندسترن أمره بالهجوم ليلا مرة أخرى.

بدأ هجومنا هذه المرة بعد تمهيد مدفعي من نيران مدافعنا الكروب الصحراوية (الميدانية) ذات القطر 3 بوصات (75 ملم) الخاصة بالفرق، والمدافع القوسية (الهاوتزر) القديمة ذات القطر 5 بوصات (120 ملم) والتي كانت تتبع منطقة جناق قلعة المحصنة، لم يكن للتمهيد أي فائدة تذكر فلا حجم أغلب القذائف كان قادرا على إلحاق أذى شديد بالخنادق، ولا كان من الممكن الرمي بشكل جيد ليلا على أهداف لم يتم الرمي عليها سابقا، وكل ما أدى إليه التمهيد هو إشعال بعض الحرائق أمام مواقعهم مما أرشدنا لها ليلا، إضافة لتنبيه المدافعين الإنجليز والفرنساوية لهجوم قريب مما جعلهم يستعدون.

هاجمنا بنفس ترتيب الهجوم الأول، فكان الآلاي (الفوج) 20 من فرقتنا السابعة والآلاي 25 والآلاي 26 من الفرقة التاسعة ضد عسكر الإنجليز على جناحنا الأيمن (الغربي)، بينما كان الآلاي 21 من فرقتنا والآلاي 19 الذي كنت ضمنه على جناحنا الأيسر (الشرقي) ضد عسكر الفرنساوية، كما شاركت آلايات (أفواج) الفرقة 15 والتي توزعت على اتجاهات متفرقة للهجوم.

كان جنود وضباط الفرقة 15قد قطعوا حوالي 15 ميلا مشيا على الأقدام، وما أن وصلوا إلى الجبهة حتى صدرت لهم الأوامر بالذهاب للقتال في وحدات متلاحقة قبل أن يعرفوا حتى طبيعة الأرض، ودون أن يتضح لضباط وجنود الفرقة على أي اتجاه بالضبط يجب أن يعملوا، تلقت بلوكاتها (سراياها) وطوابيرها (كتائبها) أوامر الهجوم شفويا فور وصولها بشكل مرتجل.

سرت خلف جنود البلوك أوجه لهم الأوامر وأنا متكئ على أحد الجنود حيث كانت إصابة الهجوم الأول لا تزال تؤلمني.

كان الإنجليز والفرنساوية مستعدين جيدا وفتحوا نيران رشاشاتهم من الخنادق والتي أوقعت بنا العديد من الإصابات، كما أطلقوا نيران المدافع على الأرض الفاصلة، ولم نتمكن هذه المرة من الوصول لخنادقهم، واكتفينا بالإنبطاح على مسافة معينة وتبادلنا معهم إطلاق النار من البنادق والرشاشات.

ثم صدر لنا الأمر لاحقا بالعودة إلى خنادقنا وإيقاف الهجوم، وكانت أكثر الإصابات قد لحقت بآلايات الفرقة 15 والتي هاجمت بشكل فوضوي.

أراد سوندسترن أن يهاجم بالأساليب الألمانية والتي تعتمد على السرعة والاندفاع قبل أن يترك للعدو أي فرصة لالتقاط الأنفاس، مع استمرار الزخم مع وصول التعزيزات، ولكنه لم يحسن تدبير الهجوم جيدا فكانت النتائج كارثية، أصلا لم نملك في الهجومين التفوق العددي بشكل يجعل نجاح الهجوم مرجحا.

وبعد أسبوع ساخن خضنا فيه 3 معارك طاحنة قمنا خلالها بصد هجوم الكفار على كيرتي ثم قمنا بهجومين فاشلين ليلا كانت الإصابات بيننا كثيرة، فالبلوك الذي أقوده مثلا قد صار بنصف جنوده والباقي إما شهيد أو في المشافي الميدانية في الخلف بعد إصابته إصابة لا يستطيع معها القتال، وحتى نصف الجنود الذي كان معي كان عدد منهم مصابا بإصابات خفيفة وأنا نفسي لا زلت أعاني من إصابة الهجوم الأول.

أدت تلك الخسائر في صفوف جيشنا إلى إضعاف خطه الدفاعي وتبديد طاقته في هجمات فاشلة، بينما كان من الأفضل أن نستثمر تلك الفترة في ترسيخ دفاعاتنا

والاستحكام جيدا وانتظار التعزيزات مع إعطائها فرصة للراحة، ثم تنظيم الهجوم بشكل جيد بعد ذلك ولكن قدر الله وما شاء فعل.

نتيجة لذلك الفشل قام ليمان باشا (ليمان فون ساندرز المستشار العسكري الألماني للدولة العثمانية والذي تولى بنفسه قيادة الجيش الخامس) بتغيير قيادة جبهة سد البحر، فعزل سوندسترن وولى مكانه ضابطا المانيا آخر اسمه ويبر، كما عزل ضابطي الأركان الألمانيين الذين عاونا سوندسترن وعين مكانهما ضابط أركان ألماني آخر، بينما أبقى على ضابط الأركان العثماني للجبهة وهو البكباشي (المقدم) محمد نهاد بيك وأوصى ويبر بالاسترشاد برأيه أكثر، ومنحه سلطة أكبر.

وفي نفس الوقت قام ليمان باشا بدمج الفرق 19 و5 و16 والتي كانت موجودة على جبهة رأس النحل (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة بخليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) تحت قيادة أسعد باشا قائد فيلقنا الثالث، فصار الآن قائدا لقواتنا في جبهة رأس النحل التي تواجه عسكر الأستراليين والنيوزيلنديين.

وصلت العدو تعزيزات على جبهة سد البحر، وأراد استغلال تفوقه بعد النقص الشديد الذي أصاب عسكرنا نتيجة الهجومين الفاشلين السابقين، فأراد تكرار محاولة الاستيلاء على كيرتي (Krithia) ذات الموضع المهم.

بدأ العدو هجومه قبيل ظهر يوم 6 أيار 1915 بضرب شديد من مدافع السفن، ثم تحرك جنوده للهجوم قريبا من ترتيب الهجوم في محاولته الأولى لاحتلال كيرتي، فكان عسكر الإنجليز يهاجم في الوسط وقبالة جناحنا الأيمن وعسكر الفرنساوية يهاجم قبالة جناحنا الأيسر والذي كان فيه الالآي 19 الذي كنت ضمنه.

اندفع جنود العدو زحفا بعد فترة بسيطة من التمهيد، بينما كانت مدافع سفنه لا زالت تضرب خنادقنا بلا هوادة، كما كانت مدافعه الصحراوية (مدفعية الميدان) تقوم

بضرب خنادقنا ايضا لتفتح له الطريق، ومع ذلك لم يستطع في نهاية ذلك اليوم التقدم أكثر من 400 ياردة في الأرض الفاصلة، حيث بقي جنودنا يطلقون النار عليهم من البنادق والرشاشات بكثافة وقتلوا وأصابوا كثيرا من جنودهم الزاحفين، فرغم أن قذائف مدافعهم خاصة المنطلقة من السفن أوقعت عددا من الإصابات بيننا لكنها لم تكن قادرة بحال على إضعاف خطنا الدفاعي، والأهم أنها لم تكن قادرة على إسكات رشاشاتنا التي شكلت دعامة الدفاع، وقد كنت جالسا على دكة في الخندق أثناء المعركة أعطي الأوامر والتوجيهات للبلوك، فآمره بنقل رماياته على هذا المكان أو ذاك حسب المكان الذي أرى فيه عسكر الأعداء أكثر أو أقرب إلينا.

كرر جنود العدو الأمر في اليوم التالي، ولم يستطع عسكر الإنجليز أن يفعل شيئا أكثر من التقدم 200 أو 300 ياردة في الأرض الفاصلة، أما عسكر الفرنساوية فقد كان اندفاعهم أكثر نجاحا واستطاعوا الإلتحام مع بعض خنادقنا الأمامية ثم أقاموا بعض التحكيمات (الاستحكامات) البسيطة أمامنا استعدادا للهجوم في اليوم التالي.

أذكر هنا أن الجناح الذي هاجم فيه عسكر الفرنساوية كان مدعوما أكثر بقذائف مدافع السفن والتي تواجدت في خليج صغير يقع في فم المضيق (مضيق الدردنيل) شرق قلعة سد البحر فكانت أقرب لدعم العسكر الفرنساوي، وأذكر أيضا أن المدافع الصحراوية (مدافع الميدان) الفرنسية ذات القطر 3 بوصات (75 ملم) أفضل المدافع التي رأيتها خلال الحرب الكونية، سواء من حيث سرعة إطلاق النار أو من حيث الدقة في الإصابة، فكان أفضل مدفع رأيته من مدافع الرمي المباشر، ويأتي بعده المدفع الروسي ذو القطر 3 بوصات أيضا (عيار 76 ملم وكان استنساخا روسيا للمدفع الفرنسي)، أما مدافع الكروب فلم تكن ندا لمدافع الرمي المباشر لدى العدو، ولكن مدافع الكروب القوسية (الهاوتزر) وخاصة ذات الأقطار الكبيرة فقد

تفوقت على المدافع القوسية لدول الأعداء، ولكنها كانت موجودة لدى الألمان ولم نمتلك أكثر أنواعها في الحرب الكونية وخاصة ذات الأقطار الكبيرة جدا.

ضغط العدو في اليوم الثالث 8 أيار وركز الهجوم من جهة الفرنساوية والتي كانت جهته الأكثر نجاحا، أما على جهة عسكر الإنجليز فرغم تقديمهم لطوابير (كتائب) من النسق الثاني فقد فشلوا في الإلتحام بخنادقنا الرئيسية، ومات أغلبهم في الأرض الفاصلة دون أن يروا جنديا عثمانيا واحدا بعد 3 أيام من القتال.

أما على جبهة العسكر الفرنساوي فقد كان الضغط شديدا وتمكنوا من دخول خنادقنا، دافعين بالجنود الزنج (الجنود الأفارقة الذين يخدمون في قوات المستعمرات وقد غلبت عليهم تسمية السنغاليين لأن أول فوج تشكل منهم كان سنغاليا) على الاتجاهات المهمة، وقد نجح جنودنا في صدهم خلال معارك قريبة بحراب البنادق أو بالأيدي أثناء دخولهم للخنادق، وقد قتلت جنديا فرنسيا بطبنجتي.

كانوا في بعض المواضع يحاولون اقتحام الخندق فإذا فشلوا تراجعوا 30 أو 40 ياردة ثم تقوم مدافعهم الصحراوية بضرب الخندق، ثم يتقدمون مجددا محاولين الهجوم.

تم رد الفرنساوية في نهاية اليوم الثالث، ولم يستطيعوا إلا احتلال إحدى التلال في جناحنا الأيسر، وكان غير بعيد كثيرا عن موضع مرابطتي، حيث ضربوا ذلك التل بمدافعهم الصحراوية ومدافع السفن دون رحمة إلى أن تمكنوا من احتلاله مع غياب ضوء اليوم الثالث. أسفرت معارك الأيام الثلاثة المذكورة عن فشل هجوم الإنجليز والفرنساويين الثاني على كيرتي حيث بقوا على بعد ميلين منها في أقرب نقطة لها، وبدأوا بالحفر وإقامة الخنادق في المواضع التي وصلوها في الأرض الفاصلة لتصير

المسافة بين خنادقنا وخنادقهم أقرب، قتل وأصيب الآلاف منا ومنهم في المعركة ولكن خسارتهم كانت 3 أضعافنا لأنهم الطرف المهاجم.



بعد الهجوم الثاني الفاشل للكفار على كيرتي (Krithia) تجمد الوضع على جبهة سد البحر (تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles) طيلة شهر أيارعام 1915، باستثناء الحرب الموضعية (الحرب الثابتة)، إضافة لبعض الهجمات المحدودة هنا وهناك والتي يهاجم فيها أحد الطرفين لاحتلال مسافة بسيطة، فمثلا التل الذي احتله الفرنساوية في معركة كيرتي الثانية سينتقل من يد إلى يد خلال فترة الحرب، فقد استرده عسكرنا خلال الأيام الوسطى لذلك الشهر، ثم عاد الفرنساوية واسترده في أواخر أيام ذلك الشهر، وسيبقى ذلك التل يتنقل بين الأيادي لثلاثة أشهر تقريبا.

أمضى كل طرف منا على تلك الجبهة هذه الفترة في تلقى التعزيزات، حيث كانت فرق من الجيش الثاني في طريقها إلينا لتنضوي تحت لواء جيشنا الخامس المكلف بالحرب في جناق قلعة (جبهة جاليبولي)، كما شرع كل طرف بحفر الخنادق وتعميقها خندقا وراء الآخر، وشق خنادق فرعية تصل بين الخنادق حتى صار لكل

طرف شبكة كبيرة ومتشعبة من الخنادق، حيث ستكون حرب الخنادق الموضعية هي العلامة الأكثر تميزا سواء في الحرب على جبهة جناق قلعة أوفي باقي الجبهات العثمانية وجبهات الحرب الكونية عموما، ولذلك تميزت الحرب الكونية بالجمود الشديد غالبا في الخطوط الدفاعية، فقد استحالت الخنادق الممتلئة بالجنود والمحمية بالرشاشات إلى حصون يصعب كثيرا اختراقها، وصار كل هجوم عليها يكلف المهاجم خسائر ضخمة بالجنود دون أن يؤدي ذلك الهجوم إلى تقدم في الغالب، وإذا حصل تقدم ففي أغلب الأحيان لن يتجاوز الميل أو حتى مئات الياردات، مئات الياردات مقابل خسائر بالآلاف!!!

وقد صارت المسافة الفاصلة بين خنادقنا وخنادقهم قريبة جدا بعد المعركة الثانية وتصل في بعض المواقع إلى عشرات الياردات.

كانت المدفعية الصحراوية (الميدانية) غير مؤثرة في الغالب في تلك الخنادق، حتى المدفع الفرنسي القوي ذو القطر 3 بوصات (75 ملم) كان أثره غير حاسم رغم أنه كان يساعد الفرنساويين كثيرا في هجماتهم.

كانت أفضل المدافع تأثيرا هي المدافع القوسية (الهاوتزر) إضافة لمدافع الخنادق النقالة (الهاون)، ولكننا لم نكن نملك على جبهة جناق قلعة من المدافع القوسية إلا مدفع الكروب ذو القطر 5 بوصات (120 ملم) من نمط 1892وقد كان مدفعا قديما ولم نكن نستطيع تأمين الجبخانة (الذخيرة) اللازمة له، وكنا قد تلقينا قبل الحرب بعض مدافع الكروب القوسية ذات القطر 6 بوصات (150 ملم) ولكنها كانت بعدد قليل في جيش الخلافة، أما مدافع الخنادق النقالة فلم نكن نملك منها شيئا (لم يهتم العثمانيون كثيرا بمدافع الهاون فقد كانوا ينظرون إليها بداية على أنها مجرد نسخة مطورة عن سلاح الهاون الأثري الذي كان متواجدا قبل الحروب النابليونية ولم ينتبهوا لأهميته إلا متأخرين)، كما كان الطريق مقطوع برا بين الدولة العلية وبين

الألمان ومملكة النمسا–المجار، أما بحرا فقد تسيدت أساطيل الأعداء البحار، فكان من الصعب إرسال أسلحة جديدة بشكل مؤثر.

على جبهة رأس النحل (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) صارت تتواجد 4 فرق هي الفرقة الثانية التي أرسلت من الأستانة، إضافة للفرقة 19 والتي يقودها مصطفى كمال بيك والتي كانت متواجدة منذ بداية المعارك هناك، والفرقتين 5 و16 التي وصلتا مددا لتعزيز القوات على تلك الجبهة، حينها قرر أسعد باشا ومصطفى كمال بيك القيام بمحاولة أخيرة لرمي الأستراليين والنيوزيلنديين في البحر.

فجمعوا فرقهم وشنوا هجوما كبيرا دون تمهيد مدفعي على خنادق الأستراليين والنيوزيلنديين، أرادوا أن يكون الهجوم مفاجئا وراهنوا على ميزة التفوق العددي، حيث كانت قواتهم على تلك الجبهة تفوق قوات العدو بمرتين ونصف، ولكن مرة أخرى يظهر عقم الهجمات في حرب الخنادق، انتهى الهجوم بكارثة واستشهاد وجرح الآلاف من عسكرنا، فالعدو هناك لم يتفاجئ، فقد علم مسبقا بالهجوم عن طريق طائراته التي كانت تقوم بالاستطلاع، إضافة إلى ذلك فقد كانت الخنادق على جبهة رأس النحل متقاربة جدا أكثر من الخنادق على جبهة سد البحر، ولذلك كانوا بالتأكيد سيسمعون اصوات الاستعدادات من خنادقنا، ولذلك لم يفد عامل المفاجأة شيئا، أما التفوق العددي فلم يكن ضمانة لنجاح الهجمات على خنادق محصنة محمية بالرشاشات، فكيف مع الأستراليين والنيوزيلنديين الذين كانوا رماة ماهرين بالفطرة، ربما كان من الممكن أن يكون حظ مثل ذلك التفوق العددي أفضل على جبهة سد البحر مع الإنجليز والفرنساويين، ولكن الوضع مع الأستراليين والنيوزيلنديين كان مختلفا، قتل أغلب جنودنا في الأرض الفاصلة بالرشاشات كقاتل أول ثم برمايات

البنادق كقاتل ثاني، وصلت حفنات قليلة منهم لخنادق الأعداء ولكن لم تكن تلك القلة ستستطيع تغيير النتيجة.

لم تشهد جبهة رأس النحل بعدها خلال باقي شهر أيا أي هجوم شامل لا من طرفنا ولا من طرفهم، واقتصر الأمر على الحرب الموضعية وعلى بعض الهجمات الصغيرة، ففي اليوم الأخير أو قبل الأخير من شهر أيار هاجم عسكرنا في أحد المواضع ونجحوا في البض على أحد المواقع الأمامية، ثم قام النيوزيلنديون بهجوم مرتد استردوا ذلك الموقع ثم عاد جنودنا واحتلوا الموقع مجددا وقد كلفت تلك المعركة مئات القتلى من الجانبين.

أذكر هنا أن هذا الشهر شهد هدنة يوم 24 آيار حتى يتمكن كل منا من دفن القتلى الذين كان الكثير منهم ملقى في الأرض الفاصلة بين الخنادق.

خلال الهدنة تلك قام الطرفان بالتجول بشكل حر وحذر في الأرض الفاصلة وقد حدثت بعض المواقف التي قد تبدو فريدة خلال تلك الحرب، من ضباطنا من تحادث مع ضباطهم مباشرة وصار يروي النكات والقصص، من الجنود والضباط من تبادل بعض الأطعمة والسكائر مع جنود وضباط الطرف الآخر، بينما كنت أتجول في الأرض الفاصلة أثناء الهدنة صرت قريبا من ضابط فرنسي، تبادلت معه بعض النظرات ثم أشحت بوجهي عنه، ثم نظرت إليه مجددا ووجدته يقترب مني فوقفت مكاني متسمرا وأنا أستعد لأي طارئ، ما أن وصل قربي حتى ابتسم ومد يده وأعطاني قطعة من الكاتو وهي من حلوى الإفرنج، نظرت إليه وفي وجهي علامات الدهشة فابتسم ومد يده أكثر تناولتها منه مستغربا، لم أشأ آخذ منه شيئا دون أعطيه شيء بالمقابل، لم يكن في جيبي إلا كمشة من الفستق الحلبي ملفوفة في ورقة كان قائد الطابور (الكتيبة) قد أعطاها لي في اليوم السابق، وكان الحصول على مثلها في تلك الظروف أمرا صعبا جدا، أخرجتها من جيبي ومددتها له وأخذها أيضا بعد

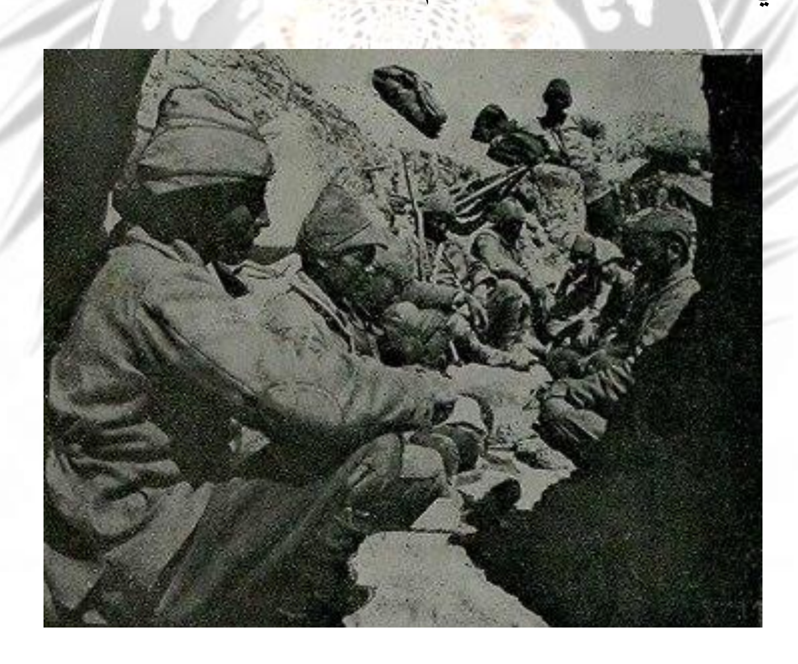
بعض التردد المماثل منه، كانت مثل تلك الأمور أمورا عابرة يعود بعدها كل طرف منا إلى خنادقه ليقتل الآخر أو يقتل على يده.

عادت بعدها حرب الخنادق بقسوتها، إغارات بمجموعات صغيرة من طرفنا أغلبها بالقنابل اليدوية، وإغارات مماثلة من طرفهم، قناص من طرفنا يقنص بعض جنودهم وإن استطاع قنص ضابطا لتتم مكافئته، كانوا يفعلون بالمثل، كاناو يحفرون أنفاقا من أراضيهم إلى ما تحت خنادقنا يضعون فيها الألغام ثم يفجرونها، كذلك صرنا نفعل معهم، كان المرابطون منا في الخندق الأول يتعرضون لأخطار شديدة، كان الموت فوق رؤوسهم في كل لحظة، ما إن يقتل عدد منهم حتى يحل البعض من الخندق الذي يليه مكانهم لينتظروا الموت بدورهم، في مثل تلك اللحظات سيكون الخوف شعورا طبيعيا لكننا تغلبنا عليه فالأستانة وراءنا.

كانت مدافع سفنهم ذات الأقطار الكبيرة تضربنا وخاصة على الجناح اليسر بين الفينة والأخرى وأدى ذلك إلى أن يفكر ويبر قائد جبهة سد البحر بالتراجع قليلا ولكن ضابط اركان الجبهة محمد نهاد بيك لم يوافق، كملا لم يوافق ليمان باشا (ليمان فون ساندرز) وقال أن الحرب في جناق قلعة غير الحرب في غرب أوروبا، فلو تراجعنا فهذا يعني تقدم العدو لتعطيل المدافع الساحلية على مضيق جناق قلعة مما يفتح الطريق لأساطيل الأعداء للدخول نحو الأستانة، لذلك كثيرا ما كنا نردد أن الأرض خلفنا واسعة ولكن لا مجال للتراجع فوراءنا الأستانة مباشرة، وإضافة لمدافع سفنهم التي كانت تضربنا كانت غواصاتهم تجوب بحر مرمرة لتغرق سفننا وقواربنا، أدى ذلك إلى اعتمادنا أكثر على الطرق البرية مما سبب تأخيرا في وصول الجبخانة (الذخيرة) والأرزاق (المؤن)، لم نقف نحن مكتوفي الأيدي أيضا، في ليلة 12 أيار قام قارب الطوربيد العثماني المسمى معاونة بإغراق إحدى سفنهم الحربية، كما قامت الغواصات الألمانية بإغراق سفينتين في 25 و27 آيار، أدى ذلك إلى انسحاب

سفنهم الحربية من الخليج الذي كانت ترابط عليه عند المضيق فتنفسنا الصعداء لتوقف ذلك الضرب المؤذي من مدافع سفنهم، صارت سفنهم تقوم كل بضعة أيام بالاقتراب قليلا ثم تضرب بعض الضربات وتنسحب ولكن لم تعد ترابط وتضرب بشكل دائم.

على ذكر الغواصات فقد جلبت لنا أخبار شهر آيار أن غواصة ألمانية أغرقت سفينة ركاب إنجليزية ضخمة قتل عليها مسافرون من أمريكا (السفينة لوزيتانيا) فبدأ القلق ينتابنا من دخول أمريكا الحرب إلى جانب الإنجليز والفرنساوية والروس، كما جلبت لنا أخبار ذلك الشهر دخول إيطاليا الحرب، حيث كانت ستدخل حربا شرسة ضد مملكة النمسا–المجار، ومن مفاجآت ذلك الشهر ما عرفناه عن استعمال الألمان لسلاح جديد في الحرب هو الدخان السام.



حين أقبل أول يوم من أيام شهر حزيران، استقبلت ذلك الشهر بإصابة جديدة بعد أن كانت إصابتي السابقة قد شفيت أو كادت، أصابتني شظية من قذيفة مدفع صباح ذلك اليوم في كتفي الأيسر وأنا في الخندق، وبعد بعض الإسعافات التي قام بها

طبيب البلوك الطبي (الوحدة الطبية) الخاص بالفرقة قرر نقلي للمستشفى الميداني في الخلف، كنا قد أنشأنا العديد من المشافي الميدانية خلف الخطوط أثناء حرب جناق قلعة (جاليبولي)، حتى وصل تعدادها أثناء المعارك إلى 25 مستشفى ميداني إضافة لثلاثة سفن صارت مشافي عائمة، ووصلت قدرة المستشفيات الميدانية على استقبال أكثر من 10 آلاف مصاب.

كان المصاب عادة يعالج في البلوكات الطبية الملحقة بالفرق، فإن كانت إصابته أشد ينقل للمستشفيات الميدانية، وفي الحالات الأشد يتم نقله إلى أحد المستشفيات الموجودة في العاصمة أو مدينة أخرى، وكانت القوارب التي تنقل المصابين إلى العاصمة تستطيع السير بحرية في بحر مرمرة دون أن تخشى سفن الأعداء أو غواصاتهم، فقد كان للمشافي الميدانية والسفن العائمة والقوارب التي تنقل الجرحى وتحمل شعار الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر حرمة لدى الطرفين، فلا تتعرض لضرب المدافع ولا تضربها الغواصات ولا السفن الحربية، وإن ضربت في مرات نادرة فذلك يكون خطأ غير مقصود، وإضافة لأطبائنا والممرضين والممرضات سواء العاملين منهم أو المتطوعين، فقد عمل في مستشفياتنا أطباء ألمان كانوا يشرفون على العلاج ويفيدوننا بخبرتهم.

أمضيت في المستشفى الميداني 3 أيام وليلتين، ثم عدت في الليلة الفاصلة بين يومي 3 و4 حزيران إلى خندقي ومع بلوكي (سريتي) الذي كان قد تناقص واستشهد الكثير من جنوده السابقين الذين كانوا في بداية الحرب، كما صار ضمن جنوده وجوه جديدة.

كان الإنجليز والفرنساوية قد وصلتهم تعزيزات في الفترة السابقة وازداد عددهم على جبهة سد البحر(تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles) ،

فقد وصلت آلايات (أفواج أو ألوية) فرنسية جديدة، كما وصل للإنجليز فرق جديدة ومن بين ما وصلهم طوابير (كتائب) من الجنود الهنود الذين يقودهم ضباط إنجليز.

كذلك نحن كنا قد تلقينا تعزيزات، فكانت الفرقة 12 قد وصلت إلينا لتنضم إلى فرقتنا السابعة والفرقة التاسعة والخامسة عشرة، كما كانت الفرقة الثانية والتي قد تكبدت خسائر كبيرة في هجومها يوم 19 أيار على جبهة رأس النحل(في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) قد تم نقلها إلينا في جبهة سد البحر، وإضافة لذلك كانت الفرقة 11 قد بدأت بالوصول وتستعد لأخذ مواقعها الحربية، كما حدث تغيير في مواضعنا الدفاعية أيضا، فقد تمركزت الفرقة 12 على الجناح الأيسر، وبقيت الفرقة التاسعة على الجناح الأيمن، بينما صارت فرقتنا السابعة في الاحتياط هي والفرقة 15 إضافة للفرقة الثانية أيضا، بالنسبة للقيادة فقد تمت إضافة البكباشي حسين صلاح الدين بيك إلى ضباط أركان الجبهة، فصارت قيادة الجبهة بذلك تضم القائد الألماني ويبر إضافة لثلاثة ضباط أركان هم حسين صلاح الدين بيك ومحمد نهاد بيك وضابط ألماني.

كانت بانتظارنا معركة جديدة ومحاولة ثالثة للكفار للاستيلاء على كيرتي (Krithia) فور وصولي، فلم يكن هناك أي مجال للراحة في جبهة جناق قلعة، فحتى الأيام الفاصلة بين المعارك كانت أيام حرب خنادق موضعية.

بدأ العدو بداية ضحى يوم 4 حزيران 1915 بضرب مواقعنا بالمدافع، وخاصة المدافع القوسية (لهاوتزر) الثقيلة القذائف والتي كانوا قد أحضروا العديد منها مع التعزيزات في محاولة لضرب خنادقنا، وقد استمر الضرب 4 ساعات، وكان يتوقف لفترة بين كل فترة ضرب وأخرى لينتظر تجمعنا بعد القصف أو تحركنا بين الخنادق ليجدد الضرب، وقد أدى هذا الأسلوب لإيقاع كثير من الإصابات في صفوفنا، ولكن لم يضعف ذلك الخط الدفاعي كثيرا، ويبدو أنهم حاولوا تكرار أساليب الهجوم في

جبهات غرب أوروبا بالتمهيد الطويل والكثيف بالمدافع للتغلب على الخنادق المحصنة.

بعد انتهاء التمهيد تقدم جنودهم في الهجوم، وفشلت القوات الفرنسية في التقدم على الجناح الأيسر لقواتنا أمام الآلاي 34 من الفرقة 12حيث حصدتهم الرشاشات، كما فشلت القوات الإنجليزية المشكلة من الجنود الهنود في التقدم أيضا في منطقة الجناح الأيمن لقواتنا المواجهة لهجومهم وفعلت فيهم رشاشاتنا الفعل ذاته، أما المشاة الإنجليز والذين هاجموا في المركز وشكلوا الكتلة الأكبر فقد استطاعوا الهجوم التقدم قليلا في قطاع الفرقة التاسعة، ولكنهم توقفوا في نهاية ذلك اليوم، واضطرت بعض قواتهم التي حققت ذلك الإختراق الصغير للعودة من حيث أتت مع حلول ظلام ذلك اليوم لعدم قدرتها على التمسك بالأرض، وكان عمق الأرض التي وصلوا لها في نهاية ذلك اليوم ولم يتراجعوا عنها يقدر بما يزيد عن النصف ميل بقليل في منتصف جبهة الهجوم.

انطلقت وحداتنا التي كانت في الاحتياط للقيام بالهجوم المعاكس في اليوم التالي وتقدمنا كضباط وكان الجنود خلفنا وكلناكان يصرخ: الله الله الله، وقد أبلت وحدات من الفرقة الثانية أحسن البلاء حيث كانت على أحد أجنحة الهجوم فعوضت بذلك عن فشلها السابق على جبهة رأس النحل يوم 19 أيار، استطعنا في نهاية ذلك اليوم إرجاعهم مئات الياردات في قتال شمل المواجهات القريبة بحراب البنادق وطردناهم من معظم منطقة الإختراق.

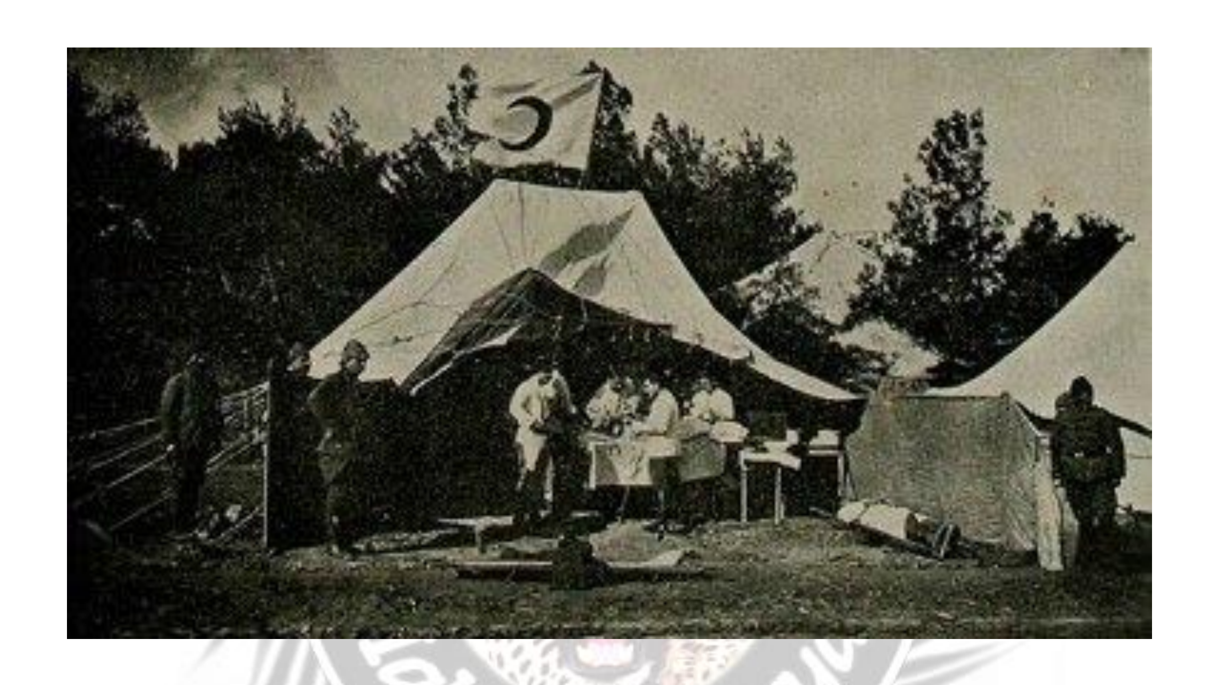
شهد اليوم الثالث قتالا ثابتا مريرا من مسافة قريبة بين الطرفين دون أي محاولة هجوم، وانتهت المعركة بنهاية يوم 6حزيران بآلاف القتلى والجرحى منا ومنهم مقابل تغيير بسيط في خط المواجهة، وهو زحزحة خطهم إلى الأمام في منطقة المركز لمسافة 250 ياردة تقريبا، فكانت محاولة الهجوم الثالثة على كيرتي فشلا آخرا.

كما كانت إثباتا آخر على القدر الذي تهدر فيه حرب الخنادق الأرواح، فمقابل هجومهم الذي تقدموا فيه مئات الياردات وهجومنا الذي أرجعناهم فيه مئات الياردات فرشت الجثث مكان المعركة وقتل وأصيب الآلاف.

بالنسبة للجنود الهنود في جيش الإنجليز فرغم أنني لم أدخل مواجهة معهم، ولم يكونوا في منطقة القتال التي كنت بها، فحسب ما عرفت ممن قاتلهم ووصف قتالهم فقد كانوا يشابهون الجنود الزنج في الجيش الفرنساوي من حيث الطاعة العمياء للضباط والانضباط التام، ولكنهم افتقروا لقوة الأبدان والاندفاع في الهجوم الذي وجدناه لدى الزنج، إضافة لذلك فقد كانت مهارة الجنود الهنود منخفضة عادة باستثناء الجنود السيخ والوحدات المسماة بالجورخا (وحدات تشكل من النيبال في الغالب)، وعموما براعتهم في القتال لا تقارن بحال ببراعة الجنود الإنجليز ولا الأستراليين والنيوزيلنديين، وإن كانت لهم ميزة جيدة هي القدرة على تحمل الظروف الصعبة وشظف الحياة.

بالنسبة لعسكر الفرنساويين الذي قاتلناه على جبهة جناق قلعة والذي اشتبكت قاتلته مباشرة في معارك شهري نيسان وأيار، فقد علمت لاحقا أنه من الجيش المسمى بجيش الشرق، وهذا الجيش هو الذي احتل الشام لاحقا، ولم أكن أعلم حين أقاتله أنني سأقاتل من سيحتل بلادي مستقبلا، كما أنني لم أعرف أن القائد الجديد للعسكر الفرنساوي في جناق قلعة في شهر حزيران كان نفسه كورو (غورو) والذي قاد جيش الشرق لاحقا لدخول الشام، كلما أتذكر أنني قاتلت جيش الشرق الفرنساوي سابقا، وكل ما أذكر أن قائدهم المدعو كورو كان يقودهم في حرب جناق قلعة التي خسروها أشعر بالفخر كما لو أنني حققت شيئا من الانتقام لأهلي وبلادي وأحمد الله الحي القيوم على ذلك. (يذكر أن غورو فقد ذارعه في حملة جاليبولي ويذكر أن الشهيد يوسف العظمة كان من المشاركين أيضا في معارك جاليبولي على الجانب

العثماني، وهناك قصة تقول أن يوسف العظمة كان قائدا لنفس وحدة المدفعية التي أصابت غورو وأفقدته ذراعه ولكن لا يمكن التأكد من تلك القصة والتي إن صحت ستكون المواجهة الأولى بين الشهيد يوسف العظمة وبين الجنرال غورو قبل أن يلتقيا بعد سنوات في معركة ميسلون).



بعد دحر هجوم الأعداء الثالث على كيرتي (Krithia) عادت جبهة سد البحر (تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles) إلى حرب الخنادق الموضعية، ولم تكن تلك الحرب تقل صعوبة عن الهجوم على خنادق العدو أو صد هجومه على خنادقنا، فقد استمر خلالها التراشق بنيران البنادق والرشاشات والمدافع، وكنا مضطرين في معظم الأوقات إلى عدم إخراج رؤوسنا كثيرا من الخنادق حتى لا تصيبنا الطلقات والشظايا، كان يتم تقسيم جنود كل بلوك (سرية) إلى مجموعات تناوب بينما تستريح مجموعات أخرى أو تنام في فترة مناوبة الأخرى، لكن في كل لحظة على المجموعة التي تستريح أن تتوقع أن تصرخ بها المجموعة المناوبة

وتنبهها إلى احتمال وجود هجوم من العدو، كان مجرد اشتداد ضرب المدافع أو ازدياد الضجة المنبعثة من خنادق الأعداء علامة على هجوم محتمل، ولذلك كان الجنود والضباط ينامون ويدهم على السلاح، وفي أي لحظة قد يقوم الجنود بإيقاظ زملائهم سواء بالصراخ بهم أو هزهم بالأيادي أو حتى ركلهم بالأقدام ليستيقظوا ويستعدوا لصد الهجوم الذي كان غالبا لا يأتي.

أصيب أكثرنا بالقمل داخل الخنادق والذي كان من أشد عوامل الإزعاج، كان أحدنا يمضي كثيرا من الوقت الذي لا يكون فيه مناوبا في التفتيش عن القمل بيديه بين الملابس ليقوم بسحقه بين أصابعه وأظافره، البعض كان يخلع معظم ملابسه قبل النوم حتى يستطيع أن ينام مرتاحا، وقد جلب القمل معه مرض التيفوس لكثير من الجنود وحتى الضباط، ففي كثير من الأحوال كنا نشاهد أحد الجنود وقد بدأ يشعر ببعض الصداع ثم تتطور حالته للشعور بالقشعريرة مع ظهور النمش على جلده فيتم إرساله للمشافي الميدانية، وقد تسبب التيفوس بقتل الكثير من المحاربين أو تعطيلهم عن الحرب لفترة يقضونها في العلاج بأعداد لا تقل عن القتلى والمصابين الذين نخسرهم في المعارك.

ومما زاد الطين بلة أن الدولة العلية كانت قد أوقفت نقل الأرزاق (المؤن) عن طريق بحر مرمرة في شهر أيار نتيجة لخطر غواصات الإنجليز والفرنساويين، واعتمدت على نقل الأرزاق برا، وقد كانت حالة الطرق بين الأستانة وكليبولو (جاليبولي) سيئة في تلك الفترة، ومن المدهش أنه بينما كانت هناك سكك حديدية تصل الأستانة بفلسطين وبالمدينة المنورة وببغداد لم تكن هناك سكة تصل الأستانة بخط الجبهة في جناق قلعة (جبهة جاليبولي)، فقد كان خط السكة الذي ينطلق من الأستانة غربا يمر ببلاد البلغار والأفلاق والبغدان (رومانيا) والمجار والنمسا حتى ينتهي في باريس، ولم يكن يتفرع منه فرع نحو جبهة جناق قلعة، ولذلك كان يتم نقل

الجبخانة (الذخيرة) والأرزاق على الدواب والعربات التي تجرها غالبا، وكانت خطوط النقل تبتعد عن الشواطئ قدر الإمكان لتفادي مدافع السفن التي قد تظهر في أي لحظة، وكانت الأرض في جزيرة (شبه جزيرة) كليبولو وعرة ولذلك كان النقل يتم بصعوبة ويتأخر، فازدادت مشكلة تموين الجيش في شهر حزيران.

وقد كان إطعام هذا العدد الكبير من الجنود معضلة، كان طعام الجندي غاليا هو قطعة من الخبز مع حبات من الزيتون أو قطع من الجبن أو بيضة مسلوقة أو بعض الفول المسلوق وكثيرا ما يحصل على بعض الكعك والذي كان غالبا قاسيا ويحتاج إلى ترطيبه حتى يلين، كما كان الجندي يحصل غالبا مع الوجبة على مقدار كيلة (كأس معدني) من البابونج أو النعنع الذين كان يتم تحضيرهما في حلل كبيرة بدل الشاي الذي ارتفع ثمنه مع الحرب (كانت الدولة العثمانية تستورد الشاي والبن من الخارج ومن مناطق يخضع أغلبها للاحتلال البريطاني فتوقف استيراده مع الحرب والحصار البحري للحلفاء) ثم يصب لكل جندي في كيلته التي يحملها دائما معه، ويحصل الجنود على حبات من التين في بعض الأيام، بالنسبة للحوم فكان الأمر يقتصر على حصول الجندي على قطعة من لحم الدجاج في فترات متباعدة.

أما الضباط فقد كان طعامهم أفضل طبعا، فقد كان أحدنا يحصل على لحم أو دجاج مطبوخ بالبرغل ومعه بعض الخضار، أو لحم أودجاج مطبوخ بالخضار مع خبز جيد من أفضل الحنطة، وأحيانا كانوا يعطوننا سمكا مشويا مع الخبز وبعض الخضار، كما كنا نحصل على فاكهة تكون غالبا من التفاح أو الكمثرى وأحيانا البرتقال، كنت أتأثر للفارق بين طعامي وطعام جنودي ولذلك صرت بعد توزيع الوجبات أنادي جنديا من البلوك بشكل مرتجل لكي نتشارك طعامنا، في البداية كان الجنود في الغالب يرفضون بخجل وارتباك فأقول لهم بحزم مترافق بابتسامة أن هذا

أمر عسكري، لم أكن الوحيد الذي فعل ذلك فقد فعله العديد من الضباط وخاصة من الرتب الصغيرة، كما لم أكن من سن تلك السنة بل تعلمتها ممن سبقني، ونتيجة لتلك العادة صرت أشعر بالراحة وأنا آكل الطعام مثل من يزكي بجزء من ماله حتى ينفق باقي المال حلالا طيبا وهو مطمئن البال.

إضافة لذلك فقد كان من يملك المال يستطيع أن يوصي من يذهب إلى القرى والمدن القريبة أن يشتري له بعض الأطعمة التي يدفع ثمنها، كما كانت تصل لبعض الضباط سلال غذاء من أهاليهم الذين كانوا يتواصلون معهم بالرسائل ويقيمون في أماكن غير بعيدة كثيرا عن الجبهة، ولكن مثل هؤلاء كانوا قلة وكان من بينهم قائد الطابور (الكتيبة) الذي أنتمي له حيث كانت تصل إليه أحيانا بعض الحلوى والفستق الحلبي والجوز، وكان طبعا لا ينسى أن يضيفني ويضيف بعض الضباط من بعض ما وصله.

لكن المشكلة الأكبر كانت في الماء، والذي ازدادت حاجتنا إليه في حزيران وخاصة أن الحرارة قد بدأت بالارتفاع وقد كان صيف تلك السنة في جناق قلعة حارا أكثر من اللازم، وعموما فإن جزيرة كليبولو كانت ماطرة، وقد قمنا بحفر الآبار لاستخراج المياه حتى نؤمنها للجيش، وكان طعم المياه كريها في الغالب، أحيانا يكون أقرب للجيفة، وقد كنا نغليها بعد استخراجها وفقا لتوصيات الأطباء قبل أن نملأ بها المطرات (عبوات عسكرية للمياه)، عدد من الجنود أهملوا ذلك فكانت النتيجة أن أصابتهم الأمراض وخاصة الزحار.

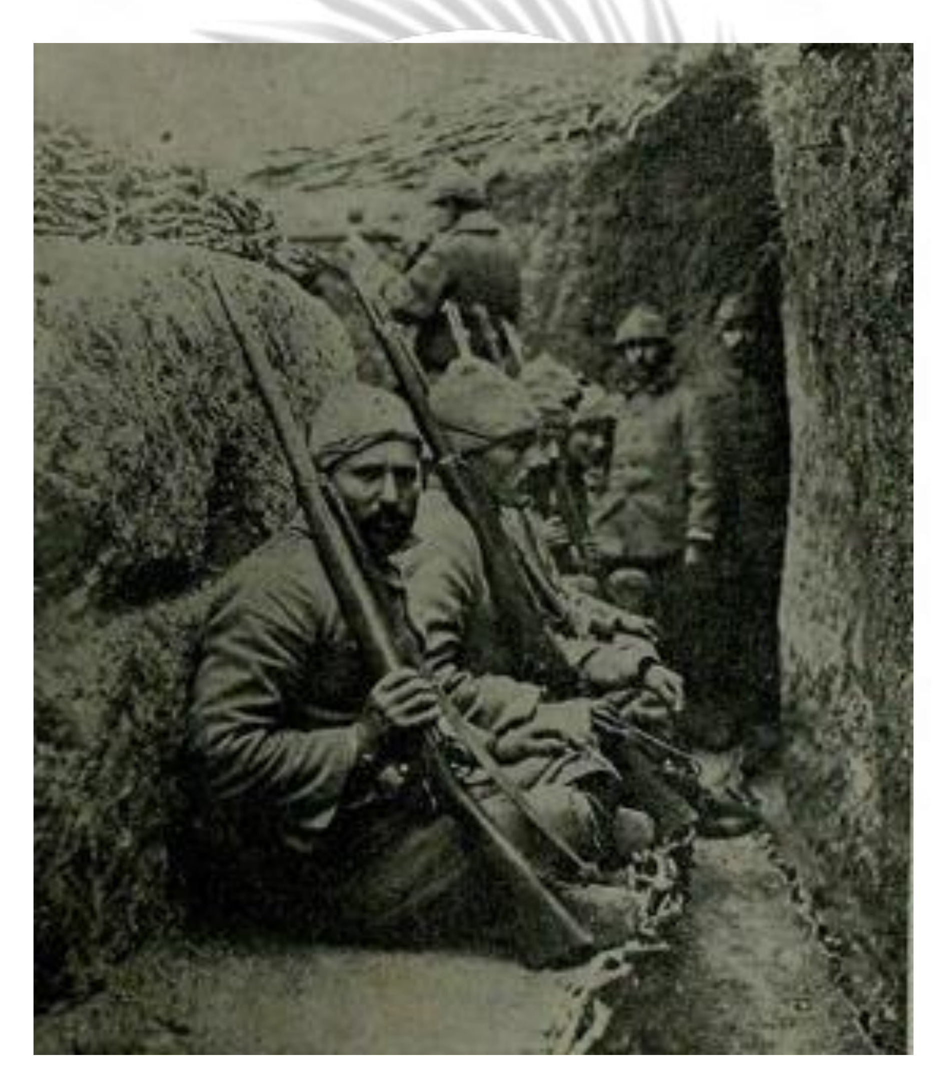
كل ما سبق اعتدنا عليه وصار أمرا عاديا له، ولكن الأمر الذي لم نستطع الاعتياد عليه أبدا هو الجرذان التي انتشرت بيننا في الخنادق وفيما بينها، فشلت كل الجهود التي بذلناها في القضاء عليها، في كثير من الأحيان كان الجنود غير المناوبون يمضون الوقت في دهسها بعنف بأقدامهم أو ضربها بأعقاب البنادق،

العديد منا تعرض لعضاتها خاصة أثناء النوم، كانت الإقامة معها أمرا مقرفا لم نستطع أبدا الاعتياد عليه ولا بشكل من الأشكال.

استمرت سفن الأعداء بإزعاجنا بين الفينة والأخرى بعد انسحابها من الشواطئ القريبة منا خوفا من قوارب الطوربيد العثمانية والغواصات الألمانية، حيث بقيت تتسلل مقتربة وتقوم بالضرب ثم تنسحب ، بعد 3 أيام من هزيمة الكفار في هجومهم الثالث على كيرتي تسللت تلك السفن ليلا وفتحت علينا مدافعها وضربت خنادقنا بالقذائف وكان بينها عدد من القذائف الكبيرة ذات القطر 12 بوصة (300 ملم) و18 بوصة (450 ملم) والتي كنا نميز انفجاراتها، كان الضرب شديدا مثل زخ المطر وكأن السفن تنتقم لما حصل في المعركة قبل أيام، ووقع بيننا العديد من الإصابات، كررت سفن الأعداء الأمر نفسه بعد خمسة أيام في ليلة 16 حزيران وبدأت بضرب القذائف، رغم اعتيادي على أصوات القذائف أثناء النوم بعد هذه الفترة إلا أن أصوات انفجار تلك القذائف الكبيرة كان مختلفا، استيقظت على أصوات تلك الانفجارات، سقطت قذيفة على بعض مئات الياردات مني، قذيفة ثانية اقتربت أكثر وسقطت في المنطقة الفاصلة بين خندقنا والخندق الذي يليه، قذيفة ثالثة سقطت في الخندق مباشرة أو على حافته الأمامية لا أدري بالضبط ولكن كانت على مسافة ليست ببعيدة كثيرا جانبي، سمعت صوت انفجارها مدويا ثم شعرت بالصمم وبالتراب يدخل عيوني ويغطي جسمي وقطع من خشب أو حجارة أو معدن لا أدري بالضبط دخلت في أكثر من مكان داخل جسمي الذي صار يرتفع في الهواء ثم سقطت على الأرض سقطة جعلتني أشعر كما لو أن أحجارا كبيرة سقطت علي، وتدحرجت عدة مرات حتى توقفت وأنا مستلقى على ظهري، فقدت بعدها الشعور بالألم وبأي شيء ووجدت نفسي لا أستطيع التحرك وكأن الشلل قد أصابني، نظرت إلى السماء ووجدت ضوء النجوم صار أشبه بخيوط متعددة تخرج من كل نجمة وشعرت بالتثاقل

في جفوني ورغبة بالاسترخاء وكانت الغشاوة في عيوني تزداد، ظننت أنها الشهادة فنطقت بالشهادتين ثم غبت عن الوعي.

استيقظت بعد أربعة أيام لأجد نفسي ممددا على سرير في أحد مشافي العاصمة الأستانة، جسمي تملؤه الأربطة والشاش الذي يغطي جروحي، يدي اليمنى مجبرة ومضمومة إلى صدري ويدي الأخرى مجروحة أشعر بألم بها، قدماي كانتا مجبرتين ومعلقتين على علاقة أمام طرف السرير.



أقمت في المشفى أكثر من شهر ونصف حتى شفيت وخرجت صباح 2 آب 1915 وكنا في أواخر شهر رمضان المبارك، وصلت في 4 آب إلى مواقع فرقتنا السابعة والتي كانت قد تحركت من الخط الأمامي لجبهة سد البحر نحو شمال جزيرة (شبه جزيرة) كليبولو (جاليبولي) قرب خليج ساروس قبل وصولي بأيام، ولكن لم يتم إلحاقي هذه المرة بالآلاي (الفوج) 19 بل ألحقت بالآلاي 21 على رأس بلوك (سرية) جديد تم تشكيله وإلحاقه بأحد طوابير (كتائب) الآلاي، وكان قائد الآلاي حين وصلت هو يوسف ضياء بيك، بينما حل خليل بيك محل أحمد رمزي بيك في قيادة فرقتنا السابعة.

كان سبب تحريك فرقتنا السابعة مع الفرقة السادسة والفرقة 12 وآلاي من الفرسان هو أن ليمان باشا (ليمان فون ساندرز) قائد جيشنا الخامس وأسعد باشا قائد جبهة رأس النحل (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) كانا يتوقعان إنزالا جديدا للأعداء في الجزيرة بعد أن فشلوا في تحقيق اختراق قوي على جبهتي سد البحر ورأس النحل، فكان لا بد لهم من إنزال جديد في الشمال لتطويق عسكرنا ثم الزحف نحو بطاريات المدافع التي تحرس مضيق جناق قلعة (الدردنيل) لفتح الباب أمام أسطولهم، ولكن كان ينقصهم فقط معرفة المكان الحقيقي للإنزال ولذلك سحبوا تلك القوات لتكون احتياطا للجبهة.

لم تحدث التغييرات في القيادة في فرقتنا فقط السابعة، بل حدثت تغييرات أخرى، فقد تم تعيين وهيب باشا قائدا لجبهة سد البحر محل الضابط الألماني ويبر، وكانت مواقع عدد من الفرق والآلايات (الأفواج) قد تغيرت، وكان الجيش الخامس المسؤول عن جبهة جناق قلعة (جبهة جاليبولي) الذي بدأ في نيسان بخمسة فرق قد تضخم حجمه كثيرا وأضيف له فرق كثيرة، كما كان عسكر العدو قد ازداد أيضا وتضخم هو الآخر خلال تلك الفترة.

عرفت عددا من أخبار الحرب التي حدثت أثناء غيابي وكان بعض تلك الأخبار سارا واعتبرت ذلك فألا حسنا، فعسكرنا في شهر تموز قد حرر لحج في اليمن بمساعدة العونية (القوات غير النظامية) من قبائل اليمن وتقدم لتهديد عدن مركز الإنجليز جنوب اليمن (يذكر أن تهديد العثمانيين للمستعمرة البريطانية في عدن بلغ حد أن حكومة الهند البريطانية أصدرت قرارا في نيسان 1916 تمنع فيه نزول السيدات إلى عدن دون موافقة القائد العسكري للقوات الهندية البريطانية ولكن اندلاع ثورة الشريف حسين في حزيران 1916 جعل القيادة العثمانية توقف الاهتمام بالعمليات الهجومية في اليمن وتركز على الدفاع عن مواقعها في الحجاز وخاصة في المدينة المنورة)، أما في القوقاز فكان قائد الجيش الثالث عبد الكريم باشا قد دحر هجوما روسيا في ملاذكرد واستولى على قافلة من الإمدادات، وبدأ يتقدم إلى أن أوقفه الروس في معركة قره كليس، ولكن الجيش الثالث كان قد حرر موش واسترد وان (فان) والتي سبق أن تمرد بها الأرمن وتحصنوا بها إلى أن وصلتهم نجدات الروس، أما على صعيد حلفائنا فكان عسكر الألمان والنمسا–المجار يتقدمون في هجوم ظافر ضد الروس ويتوغلون أكثر في بولندا ويطردونهم من كاليسيا (جاليسيا) ، كما أن عسكر النمسا–المجار كان قد صد هجوما للطليان على جبهة الألب وكرر الطليان المحاولة ولكن هجومهم الثاني لم يحقق نتائج حاسمة.

مع ذلك كنا لا نزال على أعصابنا بانتظار هجوم الكفار المرتقب على جبهة جناق قلعة الذي عرفنا أنه قادم لا محالة، وسوف يكون المحاولة الأخيرة لهم لتحقيق النصر.

وجاء الهجوم مساء يوم 6 أب، حيث قام الأعداء بضرب الموضع الذي سميناه جبهة النفرات (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة Suvla Bay) والذي يقع شمال جبهة رأس النحل بمدافع السفن الحربية، إضافة لمدافعهم الموجودة على جبهة

رأس النحل، ثم نزل جنودهم بأعداد كبيرة على الشاطئ ولم يكن في مقابلتهم إلا الآلاي 47 من الفرقة 16، في الوقت الذي أطلق فيه الأستراليون هجوما كاسحا على أحد التلال في جبهة رأس النحل لمعاونة الإنزال واستولوا على التل بعد معركة حامية، لم يتمكن الآلاي 47 من صد تلك القوات المتفوقة عليه وخاصة بعد الضرب الشديد بالمدافع الذي تعرض له، ولكنه قاوم ببطولة واستطاع أن يؤخر الكفار ويوقع بهم العديد من الإصابات، استمر القتال يومين واستطاع الكفار أن يستولوا على تل مستان وقراقول داغي ولكنهم فشلوا في احتلال المرتفعات المطلة على سهل النفرات، وحاول الآلاي 57 استرداد التل الذي احتله الأستراليون على جبهة رأس النحل ولكن هجومه فشل، وقد تكررت محاولات استعادة التل 3 أيام دون نتيجة، أما على جبهة سد البحر فقد أطلق الإنجليز والفرنساوية هجوما في 6 و7 آب تمكن وهيب باشا من صده.

وصلت قوات من الفرقتين الرابعة والتاسعة إلى جبهة رأس النحل لتعزيزها وتمكنت من تحقيق الاستقرار في الجبهة.

قام الكفار بشن هجوم في اتجاه آخر يوم 8 فهاجم النيوزيلنديون تل جناق باير بعد ضرب شديد بالمدافع وتمكنوا من احتلال جزء منه ولكن الآلاي 64 بقيادة القائم مقام (عقيد) ثروت بيك تمكن من إيقافهم، إلا أنه فشل في استعادة الأماكن التي استولى عليها النيوزيلنديون رغم أن جنوده اقتربوا إلى مسافة قريبة من الخنادق التي تحصنوا بها.

بينما كانت تلك المعارك تجري تلقت فرقتنا السابعة والفرقة 12 الأوامر بالتحرك لتخفيف الضغط عن جبهة النفرات وجبهة رأس النحل.

وصلنا جبهة النفرات سيرا على الأقدام مساء 8 آب، وقد كانت أوامر ليمان باشا في البداية أن نهاجم من فورنا ولكن بعض ضباطنا اعترضوا خشية تكرر مأساة الفرقة 15 التي وصلت منهكة في 3 أيار وانطلقت من فورها للهجوم، وأصروا على عدم زجنا في القتال قبل صباح يوم 9 آب فحدث بعض اللغط في القيادة.



كان عسكر العدو يزداد حجما وضغطه يزداد قوة، فكان عسكر الإنجليز يهاجم في جبهة النفرات (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة Suvla Bay) لتحقيق الالتقاء مع عسكر الأستراليين والنيوزيلنديين الذي كان يهاجم في جبهة رأس النحل (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove).

توزعنا ليلة 8-9 آب، فانتشرت الفرقة 12 في شمال جبهة النفرات، بينما انتشر الآلاي 21 من فرقتنا والذي كنت فيه مع الآلاي 20 جنوبا أسفل المنحدر وكنا قد تركنا الآلاي 19 قبالة خليج ساروس، وانتشر طابور (كتيبة) درك كليبولو (جاليبولي) في مواقع دفاعية على تلال كيريتش لحماية جناحنا.

هاجم الإنجليز مع خيوط الفجر الأولى يوم 9 آب بدعم من مدافع سفنهم واندفعوا إلى الأمام بتنسيق جيد كانت مجموعاتهم متباعدة عن جوانب بعضها البعض ولا تسير في خط واحد أفقيا، وتركز هجومها شمالا، ففتحت عليهم قواتنا رشاشاتها ولكنهم تمكنوا من الوصول للخنادق في الشمال وجرت معارك قريبة داخل الخنادق، تمكنت الفرقة 12 بصعوبة من إيقاف تقدم الإنجليز الذين اندفعوا من تل مستان بينما تمكن طابور درك كليبولو من وقفهم عند تلال كيرتش وقد حوصر الجرحى من الجانبين بين النيران ولم يكن من الممكن الوصول إليهم أثناء المعركة، كان عسكرنا يتشبث بتلك التلال بأظافره وكان ضغط الإنجليز شديدا.

ولمعاونة الفرقة 12 قامت آلايات فرقتنا 20 و21 مع شروق الشمس بهجوم على جنوب جبهة النفرات، فتسلقنا المنحدر نحو الأعلى ونجحنا بداية في اختراق صفوفهم وبدأوا بالتراجع وبدأ أننا سنصل إلى مؤخرتهم، لولا أنهم سحبوا كثيرا من التعزيزات من الشمال وزجوها لمواجهة هجومنا جنوبا وحولوا ضربات مدافع سفنهم علينا ومع ذلك استمرينا في الضغط عليهم دون مبالاة باستشهادنا أو إصابتنا فتحصنوا مع تعزيزاتهم في مواقع تسيطر بالنار على جهة تقدمنا، وفتحوا نيران رشاشاتهم مع دعم من مدافع سفنهم، فاستطاعوا تحقيق الاستقرار للجبهة ولكن ذلك أدى لانكسار حدة هجومهم شمالا وثبات الخط الذي عقدت عليه الفرقة 12 وطابور درك كليبولو خطهم الدفاعي.

أدى ذلك إلى إيقاف تقدمهم في جبهة النفرات وأفشل محاولتهم لاختراق خطوطنا وتطويقنا والوصول للالتقاء بعسكرهم في جبهة رأس النحل، ولكن ذلك كان بثمن باهظ فقد أصيب قائد الآلاي 21 الذي كنت فيه يوسف ضياء بيك وقائد الآلاي 20 خالد بيك بجروح ثقيلة وحل محلهما في قيادة الآلاي 21 أحمد زكي بيك وفي قيادة الآلاي 20 علي بيك، وقد استشهد يوسف ضياء بيك وخالد بيك بعد يومين متأثران بإصابتهما رحمهما الله، أذكر هنا أن خالد بيك كان من القادة الأبطال الأفذاذ الذين قاتلوا منذ المعارك الأولى واستبسلوا فيها وقام بهجوم مرتد ناجح في معركة كيرتي (Krithia) الأولى في شهر نيسان، وعموما فنصف قادة الطوابير (الكتائب) والبلوكات (السرايا) في الآلاي 20 و21 قد أصيبوا في ذلك اليوم لأن الضباط تقدموا الجنود حتى يثبتوهم في النزال، وكنت من ضمن من أصيب حيث أصبت بطلقة تحت الترقوة اليمنى، وسقطت من الألم حتى أسفل المنحدر وسقطت في تراب طري والحمد لله، فقام المسعفون بنقلي إلى طبيب البلوك الطبي الذي أمر فورا بنقلي للمشفى الميداني، وقد كتب الله لي عمرا جديدا فلو أن مكان الإصابة نزل إلى الأسفل قليلا لأصابت الطلقة الرئة.

في اليوم التالي 10 آب استفاد عسكرنا في جبهة رأس النحل من استقرار جبهة النفرات وزوال الخطر الذي يهدد مؤخرته، فقام بهجوم قبل شروق الشمس بقيادة مصطفى كمال بيك وتمكن من استرداد الجزء المحتل من مرتفع جناق باير من النيوزيلنديين واسترد تلال أخرى هامة من الأستراليين باستثناء بعض المنحدرات المطلة على البحر، وقد أدى دحر النيوزيلنديين عن جناق باير إلى إبعاد الخطر بشكل كبير وأبعد احتمال النصر عنهم، وقد عرفت أن مصطفى كمال بيك قد أصيب بطلقة في صدره ولكن ما أنقذه أنها اصطدمت بساعة كانت في جيبه.

أما على جبهة النفرات فقد حاول الإنجليز تجديد هجماتهم على طول الجبهة ولكن الفرقة 12 وفرقتنا السابعة تمكنوا من صد هجومهم بنيران الرشاشات، ولم يصل منهم إلا القليل إلى خنادقنا، أما في مكان رباط طابور درك كليبولو فقد اقتربوا من الخنادق وتم صدهم بنيران البنادق وبعض القتال القريب داخل الخنادق التي لم يتمكنوا من اختراقها.

ولم أحضر معركة ذلك اليوم حيث كنت في المشفى الميداني وقد عرفت تفاصيل ما جرى من سؤال الطبيب والممرضين الذين عرفوا بما جرى من خلال جرحى ذلك اليوم.

نزلت تعزيزات من البحر في اليوم التالي تقدر بآلاف من الجنود على جبهة النفرات، وقاموا بهجوم قوي يوم 12 آب فحصدتهم نيران الرشاشات مجددا.

شهد يوم 13 آب أيضا بعض القتال العنيف دون نتيجة حاسمة، ولكن ليل ذلك اليوم وكانت إصابتي قد خفت أتى بعض الضباط وسألوني إن كان بإمكاني العودة لقيادة البلوك لأن نائبي الملازم أول أحمد قد استشهد، وتم سؤال ضباط جرحى آخرين استشهد أو أصيب نوابهم فقد كانت الخسائر في الضباط كبيرة، وافقت بالإيجاب وعدت مع عدد من الضباط الجرحى ليل 13-14 إلى بلوكاتنا وطوابيرنا لقيادتها بعد أن تم تنظيف جروحنا جيدا وربطها بإحكام.



جدد الإنجليز هجومهم يوم 14 آب حيث كان قد مضى يومين على عيد الفطر، فانطلقوا من تلال سيوري نحو تلال كيريتش التي يدافع عنها طابور (كتيبة) درك كليبولو (جاليبولي)، وكان قد تم تعزيز الطابور بالآلاي (الفوج) 19 من فرقتنا السابعة والذي كنا قد تركناه سابقا قبالة خليج ساروس ثم تم تحريكه لدعم طابور درك كليبولو، وقد كان الهجوم ضاغطا وأدى لتراجع تشكيلاتنا المدافعة واستيلاء العدو على بعض النقاط، وكان الآلاي 21 الذي كنت فيه مرابطا مع الآلاي 20 من فرقتنا السابعة أيضا أسفل المنحدر الذي يشكل جناح التشكيلات المدافعة عن كيريتش، وكان الإنجليز قد زادوا تحصين خنادقهم في الأعلى بشكل جيد أكثر من المرة السابقة، وقد جاءتنا الأوامر بشن هجوم لتخفيف الضغط، بدأنا أولا بالتمهيد بالمدافع ولكن لم نلحظ لها تأثيرا على نقاط العدو في الأعلى فصدرت لنا الأوامر بإلغاء الهجوم، ولكننا استمررنا بالضرب بالمدافع والرشاشات حتى نقوم بتثبيتهم.

قامت القيادة بإرسال الآلايات 1 و127 وطابور من الآلاي 17 وطابور من

الآلاي 39 لتعزيز التشكيلات عند كيريتش فتمكنت من وقف اندفاع الإنجليز، ثم انطلق عسكرنا هناك في هجوم مرتد وتمكن من استرداد النقاط التي احتلها العدو، ثم عاد العدو لاحقا واحتلها إلى أن تراجع أخيرا إلى تلال سيوري من حيث بدأ هجومه بعد يومين من القتال، وقد سقط ما بين 3 إلى 4 آلاف من الجانبين في تلك المعارك، وكان ممن استشهد قدري بيك قائد طابور درك كليبولو.

وقد نزف جرحي يوم 15 آب فقام أحد مسعفي البلوك الطبي (الوحدة الطبية) بإيقاف النزيف وأعاد ربط الشاش حوله.

بعد تلك المعركة استنفذ الإنجليز طاقتهم في الهجوم وفشلوا في تحقيق اختراق ناجح، وهدأت المعارك عدة أيام على جبهتي النفرات (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة Suvla Bay) ورأس النحل (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) إلا من التراشق الثابت، وقد تذكرت تعليق أحد أصدقائي الضباط حين انتابني القلق من بدأ الإنجليز لإنزالهم على جبهة النفرات وهجومهم على جبهة رأس النحل فقال لي: أنا متفائل لأن تلك المعركة بدأت في شهر رمضان المبارك وهذا فأل حسن، فالحمد لله الناصر على صدق فأله.

قامت القيادة خلال تلك الأيام بإعادة ترتيب تشكيلاتنا، فتم تنظيم التشكيلات المدافعة عن كيريتش تحت قيادة الفرقة الخامسة، وكان من بين تلك التشكيلات الآلاي 19 الذي كان سابقا في فرقتنا، أما فرقتنا السابعة فقد تم تكليفها بالدفاع عن التلال في منطقة كاياجيك آغالا المقابلة لجبهة رأس النحل وألحق بها الآلاي 33 من الفرقة 11 ليقاتل معها بدل الآلاي 19 الذي تم وضعه تحت تصرف الفرقة الخامسة. كما تم توزيع فرق أخرى في مواقع أخرى للدفاع عنها.

أراد الإنجليز تجريب حظهم في هجوم يقوم بوصل قواتهم في جبهتي النفرات ورأس النحل مع بعضهم البعض، وذلك تمهيدا لمحاولة أخرى للزحف شرقا والسيطرة على المرتفعات المتحكمة في جزيرة (شبه جزيرة) كليبولو حتى يصلوا إلى بطاريات المدافع التي تحمي مضيق جناق قلعة (ألدردنيل) وهو المطلوب من حملتهم، فنقلوا تعزيزات من جبهة سد البحر(تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles)، إضافة لتعزيزات جديدة من الأستراليين عرفنا لاحقا أنهم أحضروها من عسكرهم في مصر.

شن الإنجليز يوم 21 آب هجوما من مواقعهم في جبهة النفرات باتجاه مرتفعات يوسف تشوك التي تدافع عنها الفرقة 12، بينما كان هجوم قوي سينطلق بالوحدات الأسترالية والنيوزيلندية من مواقعهم في جبهة رأس النحل باتجاه المرتفعات الموجودة في كاياجيك آغالا، ولو نجحوا في الاختراق فإن عسكرهم على الجبهتين سيتصل ببعضه.

كان الآلاي 21 الذي كنت فيه في منتصف خط الدفاع عن كاياجيك آغالا وعلى جناحيه الآلاي 20 والآلاي 33 ، وقد قسم الكفار تشكيلاتهم إلى 3 أقسام، كان النيوزيلنديون في القلب باتجاه آلاينا (فوجنا) بينما كان على جناحهم الأيمن الجنود الأستراليون وعلى جناحهم الأيسر جنود هنود من الجورخا (وحدات تشكل من النيبال في الغالب ويشكلون زهرة القوات الهندية البريطانية) في مقابل جناحينا.

بدأ الهجوم قبيل العصر وتقدم الأستراليون ضد جناحنا الأيسر وضغطوا بشكل جيد برماياتهم الدقيقة وهاجموا في موجة هجوم أولى أمكن صدها بعد خسائر في الجانبين، ثم هاجموا في موجة هجوم ثانية التحموا فيها مع بعض الخنادق في قتال قريب، وبينما كانت موجة هجومهم الثانية تضغط على جناحنا الأيسر، بدأ

النيوزيلنديون وهنود الجورخا هجومهم ضد قلبنا وجناحنا الأيمن، تقدم النيوزيلنديون خافضي رؤوسهم وهم يرمون ضدنا برمايات دقيقة أحدثت فينا الكثير من الإصابات، لقد كانت المرة الأولى التي أتواجه فيها مع عسكر النيوزيلنديين والأستراليين وجها لوجه وأرى دقة تصويبهم ورميهم، وأعترف أننا لا نجاريهم في هذا وخاصة العسكر النيوزيلندي، فإن كان الأستراليون والنيوزيلنديون زبدة جيش الإنجليز، فإن النيوزيلنديين هم زبدة الزبدة، وبدا أن هجوم النيوزيلنديين هو الهجوم الرئيسي وأن ما سبقه كانت هجمات لتشتيت الانتباه، ازداد ضغط النيوزيلنديين وكل ما اقتربوا أكثر من خنادقنا زادت رماياتهم دقة وانتشرت جثث الشهداء في خنادقنا، وقد كنت أثناء المعركة أرفع رأسي قليلا من الخندق وأقيم الموقف لأعطي للبلوك (السرية) تعليمات الرمي ثم أخفضه، وكان جنود البلوك أيضا يفعلون الأمر بشكل مشابه، فكانوا يرفعون رؤوسهم قليلا ليعينوا اتجاه الرمي ثم يخفضون رؤوسهم ويبقون أيديهم مع البنادق خارج الخندق وهم يرمون باتجاه جنودهم المتقدمين، أمرنا أحمد زكي بيك قائد الآلاي بالتراجع لخط الخنادق الثاني بعد أخذ الإذن من قائد الفرقة، فانسحبنا إلى هناك وتركنا لهم خط الخنادق الأول، كان خط الخنادق الثاني مرتفعا والمنطقة الفاصلة بينه وبين خط الخنادق الأول منحدرة، كما أنه كان مستورا أكثر من رمايات الأعداء، تحسن الوضع في خط الخنادق الثاني وخفت الإصابات بيننا.

في الوقت الذي كنا ندفع فيه عسكر النيوزيلنديين، كانت الموجة الثانية من عسكر الأستراليين تضغط على خنادقنا في الجناح الأيسر في قتال قريب وقد استطاعوا دخول بعض الخنادق والسيطرة عليها لكنهم لم يستطيعوا السيطرة على خط الخنادق الأول بالكامل لا سيما بعد قدوم تعزيزات النسق التالي، أما ما كان من هنود الجورخا فقد اندفعوا بشكل جنوني نحو الخنادق في جناحنا الأيمن وتمكنوا بعد خسائر كبيرة

من الاستيلاء على بعض النقاط فيها، ولكن النسق التالي الموجود في خنادق الخط الثاني من جناحنا الأيمن تحرك للأمام في هجوم مرتد وتمكن من طردهم من خنادق الخط الأول.

بعد تعثر هجوم النيوزيلنديين على خط خنادقنا الثاني، قام العسكر الأسترالي الذي كان يهاجم جناحنا الأيسر بموجة هجوم ثالثة توجهت هذه المرة نحو القلب لمعاونة العسكر النيوزيلندي في الهجوم.

أدى الانتشار الجيد لرشاشاتنا ورماياتها المنسقة إلى تعثر هجوم الأستراليين والنيوزيلنديين، كما أمر خليل بيك قائد فرقتنا بتركيز رمايات آلاي المدافع الخاص بالفرقة لدعمنا بعد أن أدرك أن الهجوم الرئيسي كان يقابلنا، وقد أبدع صالح بيك قائد آلاي المدافع في الرمي الجيد مما زاد هجوم الكفار تعثرا، وقد أدت قذائف المدافع إلى نشوب حرائق في الأشجار الصغيرة على السفوح، حيث كان هناك عدد من جرحى الأعداء الذين سقطوا برصاص الرشاشات فاحترقوا أحياء حتى الموت، كان المنظر بشعا، وحملت الرياح دخان الحرائق نحونا والذي كان يحمل رائحة اللحم المحترق، كان شعورا مقززا.

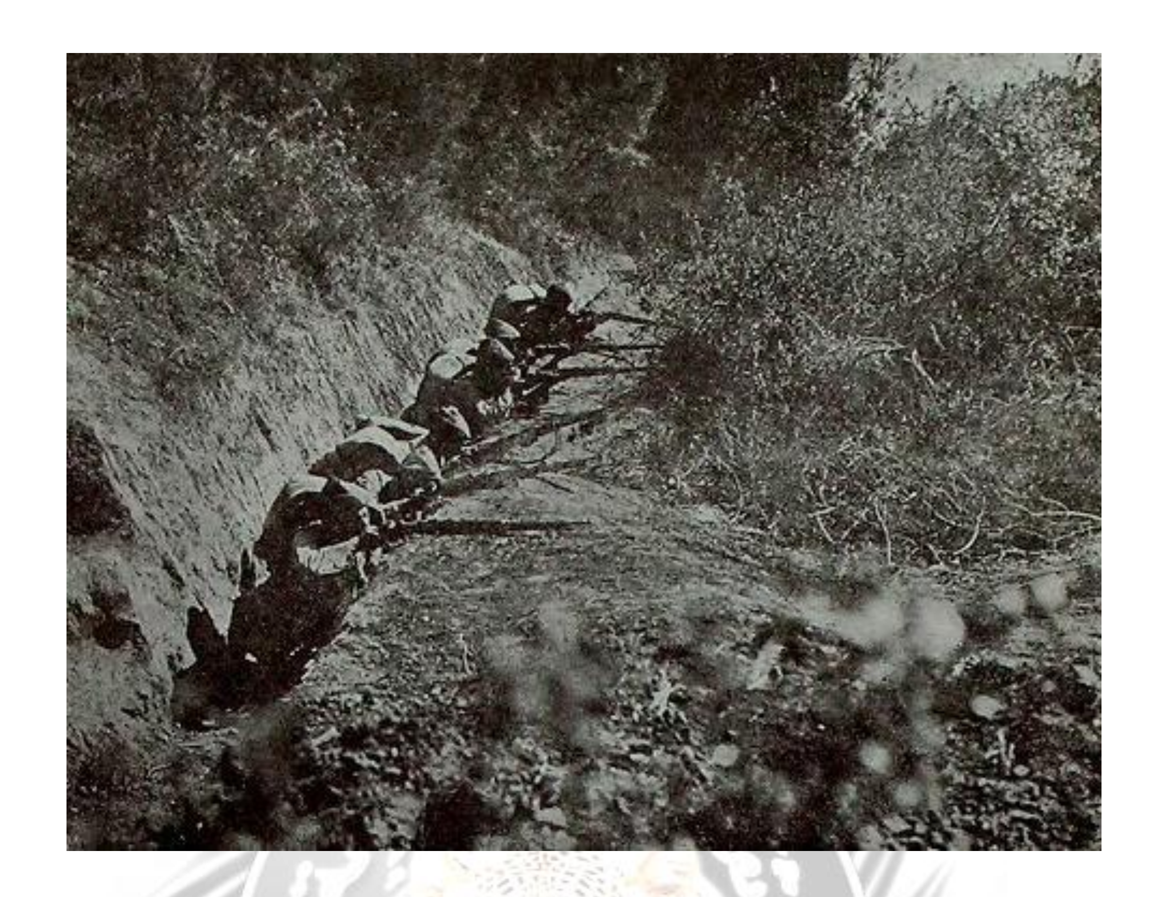
انتهى هجومهم عند غروب الشمس بالفشل ولم يستطع الأستراليون والنيوزيلنديون حتى ربط خطوطهم جيدا بين جناحهم الأيمن وقلبهم.

جدد الكفار هجومهم ليلا وقد زجوا بتشكيلات أسترالية جديدة لم تكن قد شاركت في المعارك قبل الغروب، واستطاعوا مع التعزيزات الجديدة دخول خنادقنا في الخط الثاني في أكثر من مكان، وخاضوا قتالا قريبا شمل التطاعن بالحراب والعراك اليدوي، واحتلوا بعض المواضع في الخنادق ولكن أمكن طردهم منها لاحقا مع قدوم نسقنا التالي الذي كان يحمي الخنادق أعلى قمة كاياجيك آغالا.

أثناء القتال ليلا هاجمني أحد الجنود النيوزيلنديين الذين دخلوا خنادقنا وتعارك معي، كان جرحي تحت الترقوة اليمنى قد شفي تقريبا لكن مكانه لا زال مؤلما فتمكن النيوزيلندي من طرحي أرضا، وضع يديه على رقبتي وهو يخنقني وأنا أمسك بيديه محاولا إبعادهما عن رقبتي، ثم أمسكت بكوعيه وأسندت قدماي إلى الأرض واستجمعت قوتي واندفعت على قدماي وكأنني أقفز ومن حلاوة الروح استطعت أن أدفعه وأفك الطوق حول عنقي وأصير منبطحا فوقه، ثم صرت أضرب به بكل قوة على الأرض حيث وجهت رأسه على صخرة صغيرة كانت على أرض الخندق، لا أدري كم ضربت رأسه بتلك الصخرة، ربما فوق العشر مرات، وعلى الأغلب مات من الضربة الثانية أو الثالثة، ولكنني كنت مستمرا بضربه بشعور الشخص الذي يعلم أنه إما قاتل وإما مقتول، ولم يوقفني إلا سماع صوت سقوط رجل خلفي، التفتت للخلف فوجدت أحد جنودنا وتبدو آثار دماء على نصل حربة بندقيته، ثم حولت نظري أسفل قدميه فوجدت أحد جنود الكفار ممدا على بطنه ورأسه باتجاهي ويظهر أثر طعنة على ظهره في منطقة القلب، فعلمت حينها أنه كان يريد قتلي ولكن ذلك الجندي من عسكرنا أنقذني فعانقته ثم عاد كل منا إلى القتال.

انتهى القتال في اليوم التالي وقد انكسر هجوم العدو الكافر وتوقف، أما ما كان من أمر هجوم الإنجليز الآخر على خنادق الفرقة 12 في مرتفعات يوسف تشوك فما علمته لاحقا أنهم كانوا قد هاجموا في فترة ما بعد الظهر وتمكنوا من احتلال الخنادق الأمامية ولكن النيران القوية من الفرقة 12 أجبرتهم على إخلائها لاحقا.

قتل وأصيب ما يزيد عن العشرة آلاف من الطرفين في القتال على يوسف تشوك وكاياجيك آغالا وكانت خسائرهم أكثر من ضعف خسائرنا، وكل ذلك القتال جرى في محاولة لاحتلال مناطق دفاعية عمقها مئات الياردات.



بعد فشل هجوم الكفار على مرتفعات كاياجيك آغالا أمضى كل طرف بضعة أيام في التحصين والاستحكام ونشر الجنود في المواضع التي كان كل طرف فيها.

أغرى نجاح النيوزيلنديين في الاستيلاء على خط الخنادق الأول في قلب تشكيلاتنا يوم 21 آب قيادة الأعداء لتجربة حظهم للمرة الأخيرة للاستيلاء على قمة كاياجيك آغالا حيث أن استيلائهم على القمة سيجعل الطريق أمامهم مفتوحا لمهاجمة عسكرنا على جبهة النفرات (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة Suvla Bay) من الخلف مما يسهل لهم ربط تشكيلاتهم على جبهتي رأس النحل (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) والنفرات ببعضها.

هاجم الكفار يوم 27 آب بدعم قوي من المدافع هذه المرة، حيث قاموا بتمهيد طويل ومكثف وخاصة من مدافع الخنادق (الهاون) والمدافع القوسية (الهاوتزر) ذات الأقطار الكبيرة وضربوا خط الخنادق الثاني الذي كان آلاينا (فوجنا) 21 مرابطا عليه منذ المعركة الأولى وأحدثوا أضرارا بالتشكيلات المدافعة وسقط عدد من الشهداء والجرحى ضمن البلوك (السرية) الذي أقوده أثناء التمهيد، ثم اندفع مشاتهم في الهجوم فقام تشكيل أسترالي بهجوم على الجناح الأيسر لتشكيلاتنا في هجوم بدا أنه غير رئيسي، أما قلب تشكيلاتنا حيث الآلاي 21 فقد قامت تشكيلات مختلطة من الأستراليين والنيوزيلنديين ومشاة إنجليز بمهاجمة خنادق الخط الثاني واستطاعوا دخولها في أكثر من مكان واستولوا على عدد من النقاط فيها ثم تجاوزوها متقدمين نحو قمة كاياجيك آغالا حيث خط خنادقنا الثالث والأخير، أما النقاط الأخرى فقد استمر فيها القتال القريب داخل الخنادق، بينما كانوا قد اقتربوا من نقاط أخرى لكن لم يتمكنوا بعد من دخولها، أدى اختراقهم في بعض النقاط لجعل موقفنا عند خط الخنادق الثاني ضعيفا، فأصدر لنا قائد الآلاي أحمد زكي بيك الأمر بالتراجع نحو القمة حيث خط الخنادق الثالث، تلقيت الأمر بينما كان البلوك الذي أقوده ملتحما في قتال قريب داخل الخنادق مع جنود الكفار الذين دخلوا خنادقنا تراجعنا للقمة تحت غطاء نيران تشكيل النسق التالي الذي كان يتمركز فيها.

توقف الأعداء مع حلول الظلام أمام القمة وهم ينظمون صفوفهم لمتابعة الهجوم ووصلتهم تعزيزات من تشكيلات أسترالية أخرى للحفاظ على قوة الاندفاع، استأنفوا الهجوم بعدها وقتل وأصيب العديد منهم برمايات الرشاشات المنسقة بشكل جيد ولكن هذا لم يمنع وصولهم للخنادق حيث أن المسافة الفاصلة كانت قليلة، ونجحوا في احتلال بعض الخنادق على حد القمة الأمامي مع حلول اليوم الثاني، حاولوا احتلال باقي خنادق القمة ولكن المقاومة المستميتة ألحقت بهم خسائر كبيرة، وقد استولوا

على بعض الخنادق لكن تم استعادتها في هجمات مرتدة، استمرت هجماتهم وهجماتنا المرتدة حتى يوم 29 آب وهو اليوم الثالث للمعركة، وتبادلنا السيطرة عدة مرات على عدد من خنادق القمة حيث كانت الخنادق تنتقل من يد إلى يد في قتال قريب، وتحولت قمة كاياجيك آغالا إلى مسلخ، ومع انتهاء معارك اليوم الثالث كان هجومهم قد فقد زخمه وبقيت القمة بأيدينا، توقفت الهجمات والهجمات المرتدة بعدها وبدأ كل منا بتحصين مواقعه.

قتل المئات من الأعداء على تلك القمة وجرح أضعافهم، كما فقدنا أيضا الكثير من الشهداء والجرحى، وكان هذا الهجوم هو آخر هجوم رئيسي يقوم به الكفار لتحقيق نتيجة حاسمة في حرب جناق قلعة (حملة جاليبولي)، ولم تشهد جبهة جناق قلعة بعده أي هجوم هام، وعادت الجبهة بعدها إلى حرب الخنادق الموضعية.

وقد شهد شهر آب استشهاد العديد من قادة الآلايات على رأس جنودهم في معارك جبهتي النفرات ورأس النحل، فإضافة لقائد الآلاي 21 السابق يوسف ضياء بيك وقائد الآلاي 20 خالد بيك، فقد استشهد قائد الآلاي 47 أحمد توفيق بيك والذي تصدى لوحده لإنزال الأعداء على جبهة النفرات وألحق بهم خسائر كبيرة وأخرهم قبل وصول باقي تشكيلاتنا، كما استشهد في معارك آب قائد الآلاي 57 حسين عوني بيك والذي كان قد تسلق قمة جناق باير وتصدى للأعداء يوم 25 نيسان بمفرده أيضا حين قاموا بإنزالهم على جبهة رأس النحل، كما استشهد عدد آخر من قادة الآلايات لا أذكر أسماءهم (قتل أيضا عدد من جنرالات قوات الحلفاء في معارك أغسطس 1915 على جبهة جاليبولي).

استمر الجنود الأستراليون النيوزيلنديون خلال الحرب الموضعية على جبهة كاياجيك آغالا بإزعاجنا خلال شهر أيلول بقنصنا داخل خنادقنا، فقمنا بوشع ساتر

ترابي أمام الخنادق، كما كنا نقوم برمي القنابل اليدوية لتتدحرج باتجاه خنادقهم التي كانت أسفل خنادقنا ولا تبعد عنا في بعض المواضع إلا بضعة ياردات، كانت تلك القنابل تنفجر بعد بضعة لحظات من أي ارتطام، فكانت بد التدحرج تسقط داخل خنادقهم وتكون المدة اللازمة قد انقضت فتنفجر وتقتل وتصيب أعدادا منهم، فاضطر الأستراليون النيوزيلنديون إلى وضع ساتر ترابي أمام الخنادق مما حد من قدرتهم على قنصنا وهم داخل خنادقهم.

سرت الأخبار بيننا في شهر أيلول أن الطليان يجمعون عسكرهم ويخططون لشد آزر الإنجليز والفرنساوية في جبهة جناق قلعة، أثارت تلك الأخبار مخاوفنا بشكل كبير، فقد استهلكنا أكثر ما هو مخصص لجبهة جناق قلعة والتي كان لها الأهمية الأكبر بين جبهاتنا، وأي انزال جديد على البر الأناضولي (الشاطئ الآسيوي) للمضيق قد يقضي علينا لا سمح الله، كان سحب فرق من الجيشين الأول أو الثاني وضمهم لجيشنا الخامس المخصص لجناق قلعة سيضعف دفاعات العاصمة في مناطق أخرى معرضة لتهديد محتمل خاصة خليج ساروس الذي تم نقل مسؤوليته إلى الجيش الأول، أيضا كان سحب فرق من الشام أو فلسطين أو العراق أو القوقاز سيضعف وضع جبهات هامة، كما إن إنشاء فرق جديدة من الجنود الجدد سيأخذ وقتا، ولكن عسكر الطليان لم يأتي ونحمد الله الحي القيوم على ذلك.

كما شهد شهر أيلول أيضا سماعنا لبعض الأخبار المتعلقة بالحرب الكونية، الخبر الأهم كان تقارب مملكة البلغار مع الألمان والنمساويين–المجاريين، ثم أعلن البلغار النفير العام وصار دخولهم الحرب إلى جانبنا مسألة مؤكدة.

أما الخبر الثاني فكان أن الألمان قاموا بضرب لندن عاصمة الإنجليز بقنابل قاموا برميها من السفن الهوائية (المناطيد) وقتلوا عددا من السكان وذلك بعد مرات سابقة ضربوا فيها مناطق إنجليزية قريبة من ساحل البحر (يقصد شواطئ الجزيرة

البريطانية) ومحاولات للوصول إلى لندن وضربها وربما نجح بعضها، صحيح أن مثل هذه الأنباء لم تكن مؤثرة كثيرا في سير الحرب، ولكنها كانت تعني الكثير لمن ينظر إلى مستقبل الحروب، كما أنها كانت تمثل نهاية عصر سابق من الحروب وبداية عصر لاحق، وداعا للأيام الماضية والتي كان فيها السكان البعيدون عن جبهات القتال بمأمن من الرصاص والقذائف، فهذه الحرب والتي أتت بكثير من الجديد كان من ضمن جديدها أن السكان العزل ستكويهم نيران الحرب حتى وهم في بيوتهم على بعد مئات الأميال من خط الجبهة، ومع الزمن ربما ستكبر القنابل التي ستضربهم وسيزداد عدد الآلات التي ستحملها وستصل لمسافات أبعد وستصبح أسرع وستصير مهماتها أسهل، كان هذا حديثنا كضباط وقتها وقد أظهر الله صدق توقعاتنا التي لم تكن تحتاج كثيرا من الذكاء، في الأيام اللاحقة من الحرب الكونية شاهدنا فعلا كيف صارت الطائرات أكثر قوة وحداثة، وشاهدنا كيف صارت القوى الكبرى بعد الحرب تستعملها لتأديب سكان البلاد التي تحتلها، وها أنا أكتب هذه السطور بعد 18 عاما من سماعي لذلك الخبر وأنا على الجبهة والأحاديث التي تبادلتها مع أصدقائي الضباط حول تبعاته، وقد تابعت أخبار السلاح خلال هذه السنوات وعرفت كيف صارت الطائرات أقوى وأحدث، نسأل الله العفو والمغفرة والحفظ، اللهم الطف بعبادك الضعفاء يا أيها اللطيف القوي.



حل شهر تشرين أول وقد تجمدت الجبهة تماما وتقوقع كل طرف داخل خنادقه وتشبث بها على كامل الجزيرة (شبه جزيرة جاليبولي) دون أي محاولة لاختراق خطوط خصمه، ولكن وعلى طول الخنادق في الجزيرة تبادلنا الضرب بالمدافع والرشاشات بين الفينة والأخرى، كما استمر القنص من الجانبين حيث كان يتسلل قناص في المنطقة الفاصلة ويقترب من خنادق الطرف الآخر ويأخذ مكانا مستورا ومناسبا للرمي وينتظر ليقنص جنديا أو أكثر وربما يكون محظوظا ويقنص أحد الضباط، في 10 تشرين أول كدت أن أكون أحد الضباط الذين تم قنصهم، لكن ولحسن الحظ فقد أصابت الرصاصة ساعدي الأيسر حيث كنت قد رفعت يدي لأحك رأسي وصادف ذلك نفس اللحظة التي أطلق فيها أحد قناصة الأعداء رصاصة يبدو أنه كان يستهدف بها رأسي من الجانب، انبطحت داخل الخندق فور الإصابة وقام أقرب رشاش مني بفتح نيرانه ليمشط بها الجهة التي توقعنا أن الرصاصة أتت منها، تم إخلائي لاحقا إلى المشفى الميداني وبقيت 3 أيام عدت بها إلى الخنادق، وقد

كانت تلك إصابتي الخامسة والأخيرة على جبهة جناق قلعة (جبهة جاليبولي) وأحمد الله على رعايته وحمايته.

كان لنا قناصتنا كما كان لهم قناصتهم فقد برع من طابورنا (كتيبتنا) الأونباشي (العريف) عزت وهو عسكري من أصل أرناؤوطي (ألباني) ولكن جده كان قد هاجر إلى أدرنة حين كان أبوه صغيرا، كان عزت قناصا ماهرا وعرفنا منه أنه كان يهوى الصيد منذ كان صبيا، كان الصيد لهوه المفضل قبل الحرب، وقد صار الأونباشي عزت بطلا في عيون كل جنود وضباط الطابور، خرج أكثر من مرة إلى الخندق ليقوم بقنص بعد الكفار فكنا نسأله بعد عودته ماذا اصطاد فكان يقول أنه اصطاد أرنبا أو أرنبين أو لم يجد طريدة، مرتين أو ثلاثة قال لنا أنه اصطاد غزالا، فقد كان الأونباشي عزت يسمي جنود الأعداء بالأرانب وضباطهم بالغزلان.

كان أكثر ما برع به الأعداء هو الرمي بمدافع الخنادق (مدافع الهاون) حيث كانت مدافع الخنادق لديهم قوية وكانوا متدربين على الضرب بها بشكل جيد، أما نحن فقد كان أكثر ما برعنا به هو رمي القنابل اليدوية، فقد كان يخرج واحد أو اثنان من جنودنا ويتسللون مقتربين ليلا من خنادق الأعداء ثم يرمون عليهم القنابل وينسحبون وقد استشهد عدد منهم بعد رميهم للقنابل.

كان مثل ذلك القتال الموضعي يشتد أياما ويهدأ أياما أخرى، بعض الأيام كانت تمر بلا مواجهات تقريبا ولا نكاد نشعر فيها أن هناك حرب، وبما أن الخنادق على جبهتي النفرات (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة Suvla Bay) ورأس النحل (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove) كانت قريبة وكانت في بعض المواضع لا تزيد المسافة بين خنادقنا وخنادقهم عن العشر ياردات فقد كانت الأيام الهادئة تحدث فيها بعض اللطائف في، مثلا في تلك المواضع المذكورة كان الطرفان يستغلان قرب الخنادق من بعضها

ويقوم أحد الطرفين برمي علبة من التتن (التبغ) على خنادق الطرف الآخر، ولكن طبعا كانت مثل تلك الحالات قليلة.

شهد شهر تشرين أول انخفاضا في الحرارة وصار الجو خريفيا لطيفا بعد أن كان صيف تلك السنة حارا في جناق قلعة (جاليبولي)، كما شهد الشهر أيضا تغييرا في القيادة، فقد تم تعيين علي رضا بيك قائدا لجبهتي رأس النحل والنفرات مكان أسعد باشا الذي عين قائدا للجيش الأول، بينما استمر وهيب باشا قائدا لجبهة سد البحر (تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles).

ولكننا كنا قد سمعنا خبرا مؤسفا في بداية ذلك الشهر، حيث وصل إلى مسامعنا أن عسكر الإنجليز الذي كان يتواجد في البصرة وشط العرب قد انطلق آخر شهر ايلول في هجوم قوي بحذاء نهر دجلة وانتصر في أول مواجهاته مع عسكرنا وبدأ يتقدم إلى الأمام قاصدا بغداد نفسها.

ولكن الأخبار التي سمعناها من جبهة الصرب كانت مفرحة، فالبلغار دخلوا الحرب إلى جانبنا وجانب حلفائنا وهاجموا جيش الصرب ملحقين به الهزائم النكراء فأدركوا بذلك ثأرهم من الصرب الذين كانوا قد هزموهم في حرب البلقان الثانية، في نفس الوقت كان عسكر النمسا–المجار يهاجم الصرب من الطرف الآخر واحتل بلكراد (بلغراد) نفسها وبدت هزيمة الصرب مؤكدة.

سبحان الله على تقلبات السياسة، البلغار كانوا حلفاء الصرب ضدنا في حرب البلقان الأولى، ثم تحاربوا مع الصرب في حرب البلقان الثانية وقمنا باستغلال الوضع ومهاجمة البلغار، والآن صار البلغار حلفاءنا ضد الصرب، فسبحان من يغير ولا يتغير.

كان ختام شهر تشرين الأول مسكا فضمن حرب الغواصات في بحر مرمرة تم أسر غواصة فرنسية تعرضت للضرب واضطرت للرسو على شواطئنا فتم أسرها وأسر من كان فيها بالكامل.

ثم أتى شهر تشرين ثاني وكانت برودة الجو تزداد شيئا فشيئا والأمطار تصبح أكثر غزارة والأرض صارت طينا، ولكن برودة الجو تلك رافقتها زيادة في سخونة القتال على الجبهة وسخونة في أحداث الحرب، فقد قام عسكر الأستراليون والنيوزيلنديون بحفر نفق تحت الأرض ووضعوا لغما كبيرا تحت مواقعنا في قمة كاياجيك آغالا قاموا بتفجيره، قمنا لاحقا بالرد عليهم بالمثل واستمررنا بتبادل الحفر ووضع الألغام حتى نهاية الحرب.

واستمر عسكر البلغار وعسكر النمسا–المجار في انتصاراتهم على الصرب، حين كان كل منهم يهاجم من طرف إلى أن تمكنا أخيرا من الالتقاء في أواخر أيام النصف الأول من ذلك الشهر ثم بدأ العسكران بابتلاع ما تبقى من أراضي مملكة الصرب.

كانت هزيمة مملكة الصرب والتقاء عسكر البلغار بعسكر النمسا–المجار ذو أثر كبير في صالحنا، فمملكة البلغار التي صارت حليفتنا كانت تقع على حدودنا والتقاء جيشها مع جيش النمسا–المجار يعني أن الطريق برا صار مفتوحا بين أراضي الدولة العلية وبين أراضي مملكة النمسا–المجار المتصلة بدورها ببلاد الألمان، صار بوسع الألمان والنمساويين–المجاريين أن يرسلوا إلينا أسلحة جديدة ويمدونا بالذخائر وحتى بالعسكر إن احتاج الأمر.

وبدأ الألمان بإرسال الكثير من قذائف المدافع من بعض الأنواع التي كانت مصانع الدولة العلية لا تنتجها أو تنتجها بعدد لا يكفي احتياجات الجبهة، فكان البابور (القطار) يحملها مباشرة من بلاد الألمان حتى الأستانة مارا بأراضي البلغار والنمسا–المجار، أكثر من ذلك أرسل لنا الألمان بطارية من المدافع القوسية (الهاوتزر) ذات القطر 6 بوصات (150 ملم) مع جنودها وضباطها وشاركت في القتال على جبهة سد البحر، بدورهم أرسل النمساويون بطارية من مدافع الخنادق (الهاون) ذات القطر 9 بوصات ونصف (240 ملم) مع جنودها وضباطها حيث شاركت القتال على جبهة رأس النحل وقد انبهرنا كثيرا بأداء البطارية النمساوية وهي تصب حممها على خنادق الأستراليين والنيوزيلنديين.



آخر أيام معارك جاليبولي

كان البرد يشتد أكثر فأكثر في شهر تشرين ثاني حتى هطلت حبات البرد في 26 من ذلك الشهر ثم الثلوج وحل صقيع شديد لأربعة أيام وغمرت المياه أرض الخنادق، وهلك العديد من الجانبين في ذلك البرد وأصيب آخرون بالأمراض، ومن الأمراض التي ظهرت في تلك الفترة مرض يصيب الأقدام ويغير لونها وتتضخم ويفقد الشخص الشعور بها، وقد وجه لنا الأطباء نصائحا بتنظيف أقدامنا وتجفيفها بشكل يومي ما أمكن للوقاية من ذلك المرض (الكلام عن مرض قدم الخنادق الذي انتشر في الحرب العالمية الأولى أثناء تواجد الجنود في خنادق طينية أو مغمورة بالمياه).

ولكن أمرين حصلا مع حلول شهر كانون أول جعلا الدفء يتسلل إلى قلبي في ذلك البرد، أولهما خبر جاء من العراق أن نور الدين باشا تمكن قبل أيام من إيقاف زحف عسكر الإنجليز الذي كان يهاجم بحذاء دجلة، حيث استطاع عسكرنا أن يثبت أمامه في معركة في موضع يقال له سلمان باك بجوار مدينة المدائن التاريخية التي كانت عاصمة كسرى.

أما الأمر الثاني فهو وصول جواب على رسالة كنت بعثت بها إلى أبي في شهر أيار، لقد تأخر جواب أبي بالوصول لأنني كنت قد نقلت من الآلاي 19 إلى الآلاي 21 كما ذكرت مما جعل الرسالة تتأخر لفترة حتى وصلت إلي في الرابع من كانون أول.

كان الوالد أميا لا يجيد القراءة والكتابة كحال أكثر الرجال الكبار في مدينتنا الصغيرة المتواضعة التي كانت أشبه بالقرية الكبيرة والتي لم يكن عمرانها سيزداد لولا مرور سكة حديد الحجاز بها، ولذلك ذهب برسالتي إلى شيخ المسجد ليقرأ له الرسالة وأملى عليه الجواب، رغم أن أبي لم يكتب الرسالة بيده لكني شعرت بحرارة كلماته

التي تفيض حنانا وشوقا وأنا أقرأها ولم ينسى التعبير عن ألمه وشكواه من هذه الحرب التي جعلت عيش الناس بؤسا وأثرت على حياتهم وأرزاقهم وفرقت الأبناء عن آبائهم وألقت بهم في جبهات بعيدة، كما نقل لي سلامات الأخوة والأعمام وأولاد العم والجيران وكنت كل ما أقرأ اسم أحدهم أعود بذكرياتي إلى اللحظات التي جالسته وحادثته بها وأكلت معه، وختم رسالته بالتعبير المكتوم عن قلقه الدائم الذي كان يعيشه علي خلال دعواته لي بالحفظ والحماية والعودة سالما غانما، ولم ينسى طبعا الدعاء لنا بالنصر.

فاضت عيوني بالدموع وأنا أقرأ رسالته ونظرت إلى الوجوه البائسة لجنود البلوك (السرية) الذي أقوده وتذكرت أن لهم أقارب أيضا لم يروهم منذ زمن ويبادلونهم الشوق، سألت أحدهم: محمد متى آخر مرة رأيت فيها أهلك؟ أجاب: منذ أكثر من سنة سيدي. قلت له: ما رأيك أن تكتب لهم رسالة تطمئنهم فيها عن نفسك ثم أقوم بإرسالها. قال: لا أستطيع الكتابة سيدي.

هنا طلبت منه أن يقول ما يريد قوله لهم وقمت بكتابة رسالة إلى أهله ووضعت عليها العنوان الذي أملاه علي. فعلت الأمر نفسه مع عدة جنود في ذلك اليوم. وأمضيت بضعة أيام وأنا أكتب الرسائل من جنود البلوك إلى أهاليهم وكان أغلبهم فلاحين أميين من القرى الغربية للأناضول، ثم أضع على رسائلهم العناوين التي يملوها علي وأقوم في نهاية اليوم بإرسالها للبريد الخاص بالجيش والذي كان بمقدور أي ضابط أن يرسل عبره الرسائل إلى أهله أو يستقبل الرسائل منهم، شعرت براحة كبيرة وأنا أسدي مثل تلك الخدمة لأهاليهم الذين كانوا ولا شك يفكرون بهم باستمرار وهم لا يدرون عنهم أحياء هم أم أموات.

ثم جاء يوم 12 كانون أول ورأينا الأعداء فجأة وقد أخلوا تماما مواضعهم المقابلة لنا في كاياجيك آغالا وانسحبوا إلى عمق خطوطهم في جبهة رأس النحل (في

المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة خليج الأنزاك الصغير أو ANZAC Cove)، ثم ولأسبوع كامل شهدت جبهتي رأس النحل والنفرات (في المراجع الأجنبية تسمى تلك الجبهة Suvla Bay) صمتا مطبقا، كنا نلاحظ أن خنادقهم في الليل هادئة ولا يصدر منها أي صوت وحين نرسل من يستطلع الأمر يفتحون النار عليه بمجرد أن يصبح على مسافة قريبة جدا منهم حتى اعتدنا على صمت خنادقهم ليلا، استمر هذا الوضع حتى صباح يوم 20 كانون أول حين صمتت خنادقهم في النهار أيضا، أرسلنا جنود الاستطلاع بحذر شديد نحو خنادقهم فأخبرونا أنها خالية تماما من البشر صدرت لنا الأوامر بالتقدم ببطؤ وتفتيش خنادقهم بعناية مع الانتباه الشديد لاحتمال وجود مكيدة، تقدمنا ووجدنا الخنادق خالية وفيها بعض الأرزاق (المؤن) والجبخانة (الذخيرة) وحتى بعض البنادق والرشاشات التي قاموا بتحطيم بعضها وبقي البعض الآخر سليما، ولكن لم نجد أي ظل لبشر، وبقينا نفتش الخنادق ونتقدم إلى الأمام حتى وصلنا إلى شاطئ البحر، وفي بعض المناطق رأى عدد من عساكرنا بعض سفنهم وهي تبدو صغيرة جدا في الأفق البعيد وهي تبتعد أكثر فأكثر، أدركنا حينها ما حصل، لقد انسحب الكفار من جبهتي النفرات ورأس النحل، أقمنا الاحتفالات في ذلك اليوم وانشغلنا لأيام في تجميع ما تركوه خلفهم وتطهير المكان من الأشراك خداعية (متفجرات مزروعة في أسلحة أو معدات يتركها الجيش المنسحب خلفه)، وازدادت فرحتنا حين وصلتنا الأخبار من العراق بأن خليل باشا قام بمطاردة عسكر الإنجليز بعد معركة سلمان باك حتى حاصره في كوت العمارة.

أما على جبهة سد البحر(تسمى تلك الجبهة في المراجع الأجنبية Cape Helles) فقد استمرت الحرب الموضعية لأكثر من أسبوعين وقد توقعنا انسحابهم في أية لحظة أيضا، قرر ليمان باشا (ليمان فون ساندرز وهو جنرال ألماني أوكلت إليه مهمة قيادة الجيش الخامس والذي تشكل للقتال في جبهة جاليبولي) أن يختبر

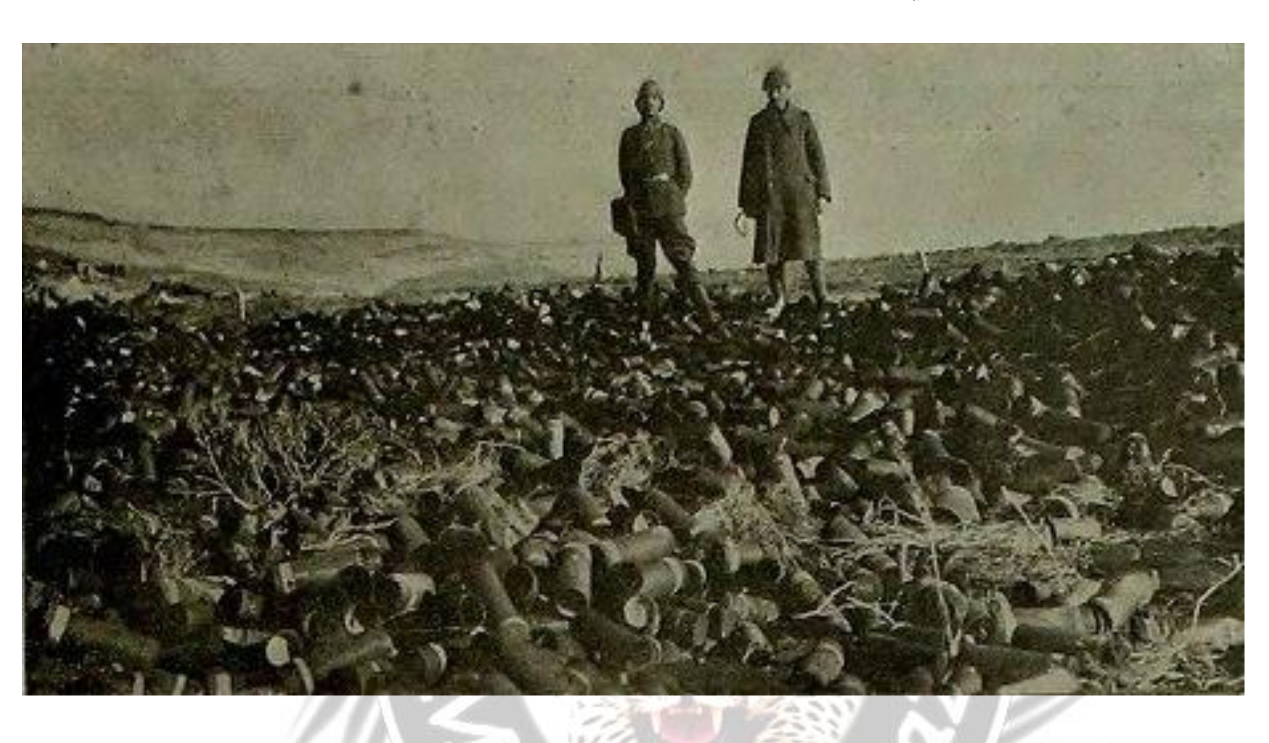
عزمهم بهجوم صغير فأمر أحد الآلايات (الأفواج) وهو الآلاي 34 أو 35 بأن يقوم بهجوم في أحد قطاعات الجبهة يوم 7 كانون ثاني من سنة 1916 الجديدة ولكنه لم يستطع اختراق خنادق الإنجليز، فقدرنا وقتها أنه ربما ينوون البقاء في جبهة سد البحر، ولكن في يوم 9 كانون ثاني انسحب آخر جندي من الأعداء من جبهة سد البحر، وتقدم عسكرنا في اثرهم حتى شاطئ البحر ووجد أن خنادقهم قد صارت خالية من أي عسكري.

أصبحت الجزيرة (شبه جزيرة جاليبولي) بعدها صامتة كالمقبرة، ها هم الكفار أخيرا قد أدركوا أن بقاءهم فيها ضرب من العبث بعد أن فشلت حملتهم في تحقيق هدفها وصار جل ما يتمنوه هو النجاة بأرواحهم، وقد كانت عملية الانسحاب على الجبهات الثلاثة في جناق قلعة (جاليبولي) هي العملية الحربية الوحيدة التي كانت قاموا بها بنجاح كامل منذ أن وطئت أقدامهم أرض الجزيرة.

ترك الأعداء ورائهم على جبهة سد البحر الكثير من الغنائم أيضا، عدا عن الأرزاق والجبخانة والبنادق والرشاشات تركوا وراءهم عددا من المدافع الإنجليزية والفرنساوية الجيدة وكانوا قد أحدثوا بعض الضرر بعدد منها ولكن تم إصلاحها لاحقا، كما وجدنا ما بين ألف إلى ألفي مركبة قاموا بتحطيم عجلات الكثير منها ولكن إصلاحها كان ممكنا، ولكنهم كانوا قد قتلوا مئات الخيول والبغال حتى لا تقع في أيدينا وتركوا العشرات فقط من تلك الحيوانات سليمة ووقعت في أيدينا.

كان شعورا رائعا، 9 أشهر من المرابطة والقتال لم تذهب سدى، لقد قاتلنا الكفار ونصرنا الله عليهم وأفشلنا هجومهم ولله الحمد والمنة، وأنقذنا الأستانة الحبيبة التي تزينت احتفالا بنصرنا وصلى الناس في مساجدها شكرا، لقد كان النصر في جناق قلعة مجدا من أمجاد أمة الإسلام الخالدة، نصر أعطانا الأمل بكسب تلك الحرب، نحمد الله ونشكره فهو من نصرنا وثبت أقدامنا.

تم تكريم الكثير منا أثناء حرب جناق قلعة (حملة جاليبولي) وبعدها، وحصلت في 12 كانون ثاني على النيشان المسمى بميدالية الحرب وهو على شكل نجمة حمراء ذات شريط أحمر (يسمى ذلك الوسام بنجمة جاليبولي)، وقد تم تكريم كثير من الضباط بها لمشاركتهم في حرب جناق قلعة.



تم بحمد الله